الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية

PEOPLE'S DEMOCRATIC REPUBLIC OF ALGERIA

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

MINISTRY OF HIGHER EDUCATION AND SCIENTIFIC RESEARCH

جامـعة البليــدة 2 لونيسي علــي

UNIVERSITY OF BLIDA 2 LOUNICI ALI

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES

قسم التاريخ وعلم المكتبات

Department of History and Library Science

الميدان: العلوم الإنسانية

الشعبة: تاريخ

التخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

محاضرات في مقياس: التّاريخ السّياسي لبلاد المغرب الإسلامي

الطّور: ماستر

السّنة: الأولى

السّداسي: الأوّل

من إعداد الأستاذ: لخضر بن نيلي

الرتبة: أستاذ محاضر "أ"

السنة الجامعية: 2025- 2026م

عنوان الماستر:تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

السداسي: الأول

اسم الوحدة: وحدات التعليم الأساسية

اسم المادة: التاريخ السياسي للمغرب الإسلامي

الرصيد:05

المعامل: 02

الحجم الساعي خلال السداسي: 45ساعة.

الحجم الساعي الأسبوعي: 1سا و30د (محاضرة) + 1سا و30د (أعمال موجهة)

طريقة التقييم:مراقبة مستمرة (40%) + امتحان كتابي (60%)

أهداف التعليم:

1) التعرف على تسميات بلاد المغرب.
2) التعرف على جغرافية والتركيبة البشرية لبلاد المغرب.
3) التعرف على مراحل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب.
4) التعرف على عصر الولاة في بلاد المغرب.
5) التعرف على الدويلات المستقلة في بلاد المغرب.

المعارف المسبقة المطلوبة:

1)تعميق المعارف التي اكتسبها الطالب في مرحلة ليسانس.

2)يعد هذا المقياس أرضية أساسية لمواد باقي السداسيات: اقتصادية، اجتماعية، ثقافية...

3) اكتساب معارف تمكن الطالب من فهم التحولات السياسية التي عرفها بلاد المغرب.

القدرات المكتسبة:

1) تعرف الطالب على مراحل فتح بلاد المغرب ودخول الإسلام للمنطقة.

2) تعرف الطالب على عصر الولاة.

3) تعرف الطالب على الدول المستقلة التي تأسست في بلاد المغرب.

محتوى المادة:

المحاضرة (01): الفتح الإسلامي لبلاد المغرب.

المحاضرة (02): الفتح الإسلامي للأندلس.

المحاضرة (03): عصر الولاة في بلاد الغرب الإسلامي.

المحاضرة (4): دولة بني مدرار بسجلماسة– آل صالح بناكور.

المحاضرة (05): الدولة الرستمية.

المحاضرة (06): دولة الأغالبة– الإمارات السليمانية.

المحاضرة (07): دولة الأدارسة– برغواطة.

المحاضرة (08): الدولة الفاطمية.

المحاضرة (09): الدولةالزيرية.

المحاضرة (10): الدولة الحمادية.

المحاضرة (11): الدولةالمرابطية,

المحاضرة (12): الدواةالموحدية.

المحاضرة (13): الدولةالحفصية.

المحاضرة (14): الدولةالزيانية.

المحاضرة (15): الدولةالمرينية.

المحاضرة (16): امتحان (تقييم المعارف المكتسبة)

المراجع:

1–ابن خلدون، ترجمان العبر وديوانالمبتدأوالخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات محمد عليّ بيضون، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت 1424هـ2003/م.

2-ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من ببني عبد الواد، تحقيق الدكتور عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، ..1980

3-مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها والحروب الواقعة بينهم، تحقيق : محمد زينهم محمد عزب، ط1، دار الفرجانى،القاهرة 1994م.

4-مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 1983م.

5-مجهول، نبذة تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطي، منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر، نشر ليفيبروفنسال، رباطالفتح، 1325هـ/ 1934م.

6- المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع .1994

7- المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1، تحقيق إحسان عباس ط .1 دار صادر بيروت ..1968

8-ابن عذاري، (كان حياً سنة 712هـ1312/م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال، ج.س. كولان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2009م،ج 2، ج..3

9-البكري، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز)ت487 هـ1094/م(، المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية،

بيروت، ط2003)1م).

10-ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت نحو 776هـ/ 1374م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمدعبد الله عنان، دار المعارف، القاهرة د.ت، م..1

11-ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط2006م.

-ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (ت367هـ/. 977م)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية

للكتاب، الجزائر1989م.

12-ابن بلقين، الأمير عبد الله بن باديس بن حبوس بن زيري،(483هـ/ .1090م)، التبيان، تحقيق أمين توفيق الطيبي، منشورات

عكاظ، الرباط، ط2011م.

13-المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع .1994

14-لقبال موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية- منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري11/م-، الشركة الوطنية للنشروالتوزيع، الجزائر، د/ط، .1979.

15-الدشراوي فرحات، الخلافة الفاطمية -296 365هـ/ -909 975م- التاريخ السياسي والمؤسسات-، ترجمة حمادي الساحلي،

دار الغرب، بيروت، ط1، 1994م.

16- آدم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، الجزء الثاني، ترجمة محمد عبد الهادي، أبو ريدة، الدارالتونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، .1986

17- الفقي عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ المغرب والأندلس، المطبعة التجارية الحديثة، القاهرة، 1990م.

18- نصر الله سعدون، دولة المرابطين في المغرب والأندلس(عهد يوسف بن تاشفين)، دار النهضة العربية ، بيروت، .1985

19- سالم عبد العزيز، المغرب الكبير(العصر الإسلامي دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ج2.

مقدّمـــــــــــــة

إن دراسة التاريخ السياسي لبلاد المغرب الإسلامي خلال الفترة الزمنية الممتدة من الفتح الإسلامي (بداية القرن الأول الهجري/ منتصف القرن السّابع الميلادي) إلى غاية نهاية القرن التّاسع الهجري/ نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، ليس مجرّد دراسة لحقبة زمنيّة انقضت بل نحن ندخل عالما شهد مخاضات كبرى وعسيرة شكّلت هويته وانتماءه الحضاري، وأثّرت بعمق في مسار العالم الإسلامي والبحر الأبيض المتوسّط وامتدّ هذا التّأثير حتّى إفريقيا جنوب الصّحراء.

إنّ مصطلح المغرب الإسلامي ليس مجرّد تسميّة جغرافيّة بل هو بناء تاريخي وحضاري له خصوصيّته السّياسية وأبعاده الاجتماعية والثّقافية، يختلف حتّى عن المشرق الإسلامي الّذي يرتبط معه في الوحدة الدّينيّة واللّغوية.

ومن خلال هذه المطبوعة البيداغوجيّة الموجّهة لطلبة السّنة الأولى ماستر تخصّص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، حاولت أن أقدّم للمهتمّين من باحثين وطلبة جملة من المحاضرات المرتبطة بهذا الموضوع (التاريخ السّياسي لبلاد المغرب الإسلامي)، وهي عبارة عن ملخّصات ألقيتها على الطّلبة حسب البرنامج الدّراسي الجامعي، كي تكون خارطة طريق تساعد المهتمّين من باحثين وطلبة للولوج إلى عالم البحث في هذا الموضوع، وتزوّدهم بمعارف فيه وتوجّههم لأهمّ الدّراسات والأبحاث من مصادر ومراجع تخصّصت فيه.

وقد قسّمت هذا العمل إلى أربعة عشر محاضرة شملت جملة من المواضيع، أبرزها:

التّعريف ببلاد المغرب والأوضاع السّائدة فيه قبل الفتح الإسلامي، ثمّ الفتح الإسلامي له وأهمّ مجرياته والتّعرف على أسباب ودوافع الفتح ومراحله مع الوقوف على الصّعوبات والعراقيل الّتي واجهت الفاتحين له، ثمّ النتائج الّتي ترتّبت عن فتحه، ثمّ تطرّقت إلى موضوع التّطوّر السّياسي لبلاد المغرب والبداية فيه كانت بعصر الولاّة وما ميّز هذه المرحلة من تنظيم سياسي وإداري وارتباط بلاد المغرب بمركز الخلافة في المشرق، ثمّ بعد ذلك عرّجت على موضوع الحركة المذهبية ببلاد المغرب وما كان لها من عظيم الأثر في إحداث التّغيير السّياسي ببلاد المغرب، حيث عمّت المنطقة الفوضى السّياسية واضطراب الأوضاع فيه وقيام الثّورات ممّا مهّد الطّريق لانفصال بلاد المغرب عن المشرق وقيام الإمارات والدّول المستقلّة.

وقد لهذا الموضوع (الإمارات والدّول المستقلّة في بلاد المغرب الإسلامي) أيضا حظّه في هذه الدّراسة، حيث تناولت جملة من الإمارات والدّول المستقلة بداية من إمارة بورغواطة ووصولا إلى دولة الحفصيين في المغرب الأدنى، والدّولة الزّيانية في المغرب الأوسط، والدّولة المرينية في المغرب الأقصى، لأختم هذا العمل بجملة من الملاحظات والاستنتاجات تضمّنتها خاتمة هذه المطبوعة.

وقد اعتمدت في إنجاز هذا العمل على المنهج التّاريخي الوصفي التّحليلي من خلال سرد الأحداث وتسلسلها الزّمني بالاعتماد على المصادر والمراجع وتحليلها بغية إظهار ما أمكن إظهاره من الحقائق والجوانب الخفيّة وتبسيط المعلومات وترسيخ الحقائق من خلال الاستشهاد بالنّصوص.

وفي الأخير أملي أن يساهم هذا العمل في إثراء المكتبة التّاريخية ويفيد القارئ أو الطّالب بمعلومات دقيقة ومختصرة فيما يتعلّق بالتّاريخ السّياسي لبلاد المغرب الإسلامي.

المحاضرة الأولى:

الأوضاع العامّة لبلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي

1/- جغرافيّة بلاد المغرب:

قبل خوض غمار الحديث عن سيرورة عمليّة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ومجريات أحداثها وجب علينا أن نعرّج ولو بالقليل من أجل أن نعرّف بالمنطقة وساكنتها قبل الفتح الإسلامي لها، لأنّ ذلك يعتبر ضرورة حتميّة فالبيئة الجغرافيّة لها تأثير بليغ على نمط معيشة السّكان وهنا نقصد الحياة القبليّة الّتي تعدّ عصب تاريخ المغرب الإسلامي[1].

فلفظ المغرب هذا أطلق على ذلك النّطاق الجغرافي الواقع في أقصى شمال القارة الإفريقيّة[2]، وهو يتضمّن حاليّا البلاد اللّيبيّة وتونس والجزائر والمغرب الأقصى وبلاد شنقيط (الصّحراء الغربيّة وموريتانيا)، وهو يمتدّ من برقة شرقا على الحدود المصريّة إلى غاية المحيط الأطلسي (بحر الظّلمات) غربا[3] أمّا شمالا فتطلّ بشريط ساحلي طويل على البحر الأبيض المتوسّط وتتوغّل جنوبا عبر الصّحراء الإفريقية الكبرى لتصل إلى بلاد السّودان[4].

وقد عُرِفَ هذا النّطاق الجغرافي منذ القديم بعدّة تسميات، فالإغريق وعلى لسان كبير مؤرّخيهم آنذاك –هيرودوت المعروف بأبي التّاريخ– أطلق عليه اسم ليبيا وعلى ساكنته اسم اللّيبيّين، في حين أطلق القرطاجيّون على ساكنة المنطقة اسم الأفرى وربّما من هذا الاسم اشتقّت تسميّة إفريقيّة[5]، وعندما حلّ الرّومان بالمنطقة أطلقوا اسم إفريقيّة على النّطاق السّاحلي المطلّ على البحر الأبيض المتوسّط والممتدّ من طرابلس شرقا إلى طنجة بل إلى سبتة غربا،

---

[1])– **عبد الحميد حسين حمّودة**، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي وحتّى قيام الدّولة الفاطميّة، الدّار الثّقافيّة للنّشر– القاهرة، 2006م، ص. 11.

[2])– عبد الحميد حسين حمّودة، نفسه، ص. 11.

[3])– **موسى لقبال**، تاريخ المغرب الإسلامي، دار هومه للطّباعة والنّشر والتّوزيع– الجزائر، الطبعة الرابعة، 2001م، ص. 17.

[4])– **الشيماء الصّعيدي**، المغرب بين التّاريخ والميثولوجيا، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب– القاهرة، 2019م، ص. 9.

[5]) – موسى لقبال، نفس المرجع، ص. 16.

وبعد تقسيمهم لهذا النّطاق خصّوا الأراضي التّونسيّة وحدها بهذا الاسم (إفريقيّة)[1]، وسمّو الجزائر وحدها باسم نوميديا وما يليها إلى الغرب باسم موريتانيا[2]، وهي تضمّ المغرب الأقصى وموريتانيا الحاليّة والصّحراء الغربيّة، أمّا المسلمون وبعد فتوحاتهم لهذا النّطاق الجغرافي خالفوا من سبقهم في التّسميّة حيث أطلقوا عليه لفظ بلاد المغرب للدّلالة على الجزء الغربي من العالم الإسلامي وتمييزه عن المشرق[3].

وقد اختلف المؤرّخون والجغرافيّون المسلمون في تحديد حدوده فهناك من ربط لفظ المغرب بعصر الفتنة بين عليّ كرّم اللّه وجهه ومعاويّة بن أبي سفيان رضي الله عنه خلال النّصف الأوّل من القرن الأوّل للهجرة، والّذي كان يتضمّن الشّام ومصر وما جاورهما في حين أنّ المشرق كان يشمل العراق وإيران وما اتّصل بهما، واستدلّوا في هذا الأمر بما ورد في رسالة سيّدنا عليّ كرّم الله وجهه الّتي أرسلها إلى ابن عبّاس في البصرة وجاء فيها قوله كرّم الله وجهه:(قد أجمعنا على المسير إلى عدوّنا – ويقصد معاويّة رضي الله عنه– من أهل المغرب)[4]، أمّا صاحب مسالك الممالك مثلا اعتبر المغرب نصفين أحدهما شرقيّا يضمّ برقة وإفريقيّة وتاهرت وطنجة والسّوس وزويلة وما جاورهم من أقاليم، والآخر غربيّا ويضمّ الأندلس[5] الأندلس[5] فجعلوه يشمل شمال إفريقيا والأندلس (إسبانيا الإسلاميّة) وكافّة الممتلكات الإسلاميّة الإسلاميّة في الحوض الغربي للمتوسّط كصقلّية وجنوب إيطاليا وسردينيا وكورسيكا وجزر البليار[6]، أمّا ابن عبد الحكم وهو أقدم وأوثق مؤرّخي الفتح الإسلامي لبلاد المغرب إلى أنّ

---

[1]– **مطهري فطيمة،** حاضرة القيروان: دراسة تاريخيّة وحضاريّة من الفتح الإسلامي والتّأسيس حتّى سيطرة الفاطميّين من القرن(1– 3هـ/ 7– 9م)، النّشر الجامعي الجديد– تلمسان (الجزائر)، 2018م، ص ص. 07– 08.

[2]– موسى لقبال، المرجع السّابق، ص ص. 16– 17.

[3]– موسى لقبال، نفس المرجع، ص. 18.

[4]– موسى لقبال، نفسه، ص. 18؛ مطّهري فطيمة، نفس المرجع، ص. 8.

[5]– **أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد الفارسي (الإصطخري)**، مسالك الممالك، دون تحقيق، طبع في مدينة ليدن المحروسة (مطبعة بريل)، 1927م، ص. 36

[6]– **أحمد مختار العبّادي،** في تاريخ المغرب والأندلس، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر– بيروت (لبنان)، دون تاريخ، ص. 09.

قرطاجنّة – ويقصد قرطاجة– كانت مستقر سلطان إفريقيّة، تغلّب عليها الحاكم البيزنطي جرجير وأصبحت دار ملكه، وكان نفوذه يمتدّ من طرابلس إلى طنجة[1]، وهو ما يتّفق مع رأي المؤرّخين المعاصرين من أنّ مصطلح بلاد المغرب يطلق عموما على البلاد الإسلاميّة الممتدّة من الحدود الغربيّة لمصر إلى غاية سواحل المحيط الأطلسي، وشمالا من البحر الأبيض المتوسط وتتوغّل جنوبا إلى أعماق الصّحراء الإفريقيّة الكبرى حتّى تصل إلى مشارف بلاد السّودان[2].

وقد قسّم المؤرّخون بلاد المغرب إلى ثلاثة أقاليم حسب القرب والبعد عن المشرق، فأطلقوا اسم المغرب الأدنى على إفريقيّة وما نسميه بتونس حاليّا، واسم المغرب الأقصى (إقليم مرّاكش) على غرب بلاد المغرب لبعده عن المشرق، واسم المغرب الأوسط على إقليم الجزائر حاليّا لوقوعه وسط المغربين الأدنى والأقصى، ولشدّة ارتباط هذه الأقاليم ببعضها البعض وعدم وجود معالم طبيعيّة واضحة تفصل بينها فقد كانت حدودها بين مدّ وجزر حسب قوّة من يحكم كلّ إقليم منها[3].

2/– السّكان في بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي:

ضمّ المجتمع المغربي قبل الفتح الإسلامي في تكوينه أربعة عناصر رئيسيّة، لكل واحد منها سماته ومميّزاته، وهي:

أ/– **الأفارقة:** وهم خليط من الأقوام الّتي احتلّت بلاد المغرب من القرطاجيين والرّومان والونـدال وغيرهم، عاشـوا بمـدن المغـرب واختلطـوا بسكّانه مـن أهـل الحواضر من البربر

---

[1]– **أبو القاسم عبد الرّحمن بن عبد الله بن عبد الحكم**، فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، الهيئة العامّة لقصور الثّقافة– القاهرة، دون تاريخ، ج. 1، ص. 246.

[2]– **حسين مؤنس**، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثّقافة الدّينيّة– القاهرة (مصر)، دون تاريخ، ص. 04؛ **عبد المحسن طه رمضان**، تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتّى سقوط غرناطة، الطبعة الثّانيّة، دار الفكر موزّعون وناشرون– عمّان (الأردن)، 2013م، ص. 15؛ مطّهري فطيمة، المرجع السّابق، ص. 8؛ الشّيماء الصّعيدي، المرجع السّابق، ص. 09.

[3]–

وجمعت بينهم الحياة المشتركة كان معظمهم يدين بالمسيحيّة ويأخذ بأساليب الحضارة الرّومانيّة[1].

ب/–اليهود: وجد اليهود في بلاد المغرب منذ القدم وقد شقّوا طريقهم إليه عن طريق الفينيقيين ثمّ بعد ذلك عن طريق الرّومان[2].

ج/– الرّوم (البيزنطيّون): وهم أصحاب السّلطة في بلاد المغرب، استقرّوا فيه بعد أن سيطروا عليه وألحقوه بالسّيادة البيزنطيّة سنة 534م في عهد الإمبراطور جستنيان (527–565م)، واشتغلوا بالتّجارة وزراعة الأرض إلى جانب الإدارة[3].

د/– البربر: وهم يمثّلون الغالبيّة العظمى من بين سكّان بلاد المغرب، وهم أقدمهم فيه، أمّا عن أصل هذه التّسميّة (بربر) ففيها اختلاف كبير فالبعض يرى أنّ هذا الاسم أطلقه الإغريق (اليونانيّون القدامى) على الشّعوب الّتي لم تخضع لنفوذهم وسلطانهم، ثمّ أطلقه الرّومان على الأمم والشّعوب المتخلّفة الّتي تعيش خارج نطاق الحضارة الرّومانيّة من بينهم ساكنة بلاد المغرب، واعتبروا هؤلاء شعبا متوحّشا وهمجيّا وغير متحضّر وهي كلمة عنصريّة وغير لائقة وغير واقعيّة[4]، أمّا العرب الفاتحين فليس لهم دخل في إطلاق اسم البربر على سكّان المغرب بل وجدوه متداولا عند الفتح الإسلامي[5]، أمّا التّسميّة القديمة الّتي أطلقها السّكان على أنفسهم فهي أمازيغ و تعني الرجال الأحرار[6]، وهي كلمة مشتقّة من اسم جدّهم

---

[1]– موسى لقبال، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 20؛ مطهري فطيمة، المرجع السّابق، ص. 14.

[2]– **سعد زغلول**، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الإستقلال (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب)، منشأة المعارف– الإسكندريّة، 1993م، ج. 1، ص ص. 106– 107؛ **شهبي عبد العزيز**، تاريخ المغرب الإسلامي، مؤسّسة كنوز الحكمة للنّشر والتّوزيع– الجزائر العاصمة، 2013م، ص. 5.

[3]– مطهري فطيمة، المرجع السّابق، ص. 15.

[4]– مطهري فطيمة، المرجع السّابق، ص. 11.

[5]– عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص. 18.

[6]– عبد الحميد حسين حمّودة، المرجع السّابق، ص. 17.

الأعلى ويسمّى مازيغ بن كنعان بن... حام فيما يزعم نسّابتهم[1]، وحسب النّسابة العرب فالبربر ينقسمون إلى جذمين كبيرين يختلفان في نمط الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة هما:

– الجذم الأوّل هم قبائل البرانس: وهم من نسل برنس بن برّ بن مازيغ وتميّزت حياتهم بالاستقرار في القرى والسّهول السّاحلية والتّلّيّة والجبليّة وممارسة الزّراعة وتربيّة المواشي وهم من المستضعفين على حدّ قول ابن خلدون، وأبرز هذه القبائل نجد: مصمودة وازداجة، أوربة وعجيسة، وكتامة وصنهاجة، أوريغة ولمطة، هسكورة وجزولة[2].

– الجذم الثّاني هم قبائل البتر: وهم حسب أوثق الرّوايات من نسل مادغيس الأبتر بن برّ بن مازيغ، وقد غلب على حياتهم نمط المعيشة البدويّة والتّرحال في الصّحراء لاشتغالهم بالرّعي، وهم قبائل كثيرة تنحدر من أربعة أصول هي: أداسة، نفوسة، ضريسة، بنولو الأكبر أو لوّاته[3]. وقد كان الصّراع طويلا ومريرا بين البتر والبرانس خاصّة بين قبيلة زناتة أكبر القبائل البتريّة عددا وأكثرها فرسانا وأشدّها بداوة، وقبيلة صنهاجة أكثر قبائل البرانس بطونا وأقواها شكيمة[4].

3/– لمحة تاريخيّة حول بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي:

لقد كانت بلاد المغرب عبر تاريخها الطّويل قبلة للغزاة الأجانب الطّامعين فيها لموقعها الجغرافي الممتاز المطلّ على البحر المتوسّط ووفرة ثرواتها وخيراتها، لذلك كانت محلّ صراع بين الفينيقيين والإغريق في إطار تنافسهما من أجل السّيطرة على حوض البحر الأبيض المتوسّط، فكان ساحله الشّمالي من نصيب الإغريق، وساحله الجنوبي من نصيب الفينيقيين الّذين لم تكن غايتهم الإستعمار السّياسي للبلاد وإنّما السّيطرة التّجاريّة، فأقاموا على سواحله (بلاد المغرب) مراكز تجاريّة هامّة واتّخذوا من قرطاجة عاصمة لهم[5] فغلب عليهم اسمها

---

[1])– موسى لقبال، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 21.

[2])– **عبد الرّحمن بن خلدون**، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشّأن الأعظم، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكّار، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع– بيروت، 2000م، ج. 6، ص. 117؛ سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج. 1، ص. 81، 86، 88.

[3])– ابن خلدون، نفس المصدر، ج. 6، ص. 117– 119؛ سعد زغلول، نفس المرجع، ج. 1، ص. 81، 86، 88.

[4])– عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص. 19.

[5])– **نصحي إبراهيم**، تاريخ الرّومان، مكتبة الأنجلو المصريّة – القاهرة، دون تاريخ، ج. 1، ص. 195– 202.

فعرفوا بالقرطاجيّن، وظلّت سيطرتهم قائمة على المنطقة منذ مطلع القرن السّادس قبل الميلاد حتّى ظهرت روما كقوّة فتيّة في القرن الثّالث قبل الميلاد تبحث لها عن مكان وسط حوض البحر الأبيض المتوسّط، فارتطمت مصالحها (روما) مع قرطاجة[1] ممّا أدّى إلى قيام صراع طويل ومرير بينهما عرف في التّاريخ باسم الحروب البونيقيّة[2] الّتي انتهت بخسارة قرطاجة وسقوطها سنة 146ق. م.، وخضوع بلاد المغرب للهيمنة الرّومانية لما يزيد عن الخمسة قرون (146ق. م- 429م)، وما أن انتهى هذا الاحتلال حتّى خضعت بلاد المغرب لاحتلال جديد دام ما يزيد عن القرن من الزّمن وهو الاحتلال الوندالي (429- 534م)[3]، وانتهى هذا الاحتلال باستعمار جديد لا يختلف عن سابقيه من حيث البطش والتّسلّط وهو الاحتلال البيزنطي الّذي زاد عن القرن من الزّمن (534- 647م) وانتهى بمجيء المسلمين بفتوحاتهم وحضارتهم الّتي خلّصت المنطقة وساكنتها من الهيمنة الأجنبيّة[4] وتدخل بذلك بلاد المغرب عصرا جديدا في تاريخها وهو العصر الإسلامي.

---

[1])- عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص. 21.

[2])- **سامي سعيد الأحمدي**، تاريخ الرّومان، ط. 1، دار الفكر الحديث- لبنان، 1967م، ص. 61- 65، 68- 69؛ نصحي إبراهيم، تاريخ الرّومان، ج. 1، ص. 203- 209، 214- 233، 270- 275.

[3])- للمزيد حول هذا الاحتلال أُنظر: **محمود سعيد عمران**، مملكة الوندال في شمال إفريقيا، دار المعارف- القاهرة، 1985م، ص. 19- 160.

[4])- للمزيد حول هذا الاحتلال أُنظر: **محمود سعيد عمران**، معالم تاريخ الإمبراطوريّة البيزنطيّة، دار المعرفة الجامعيّة- مصر، 2000م، ص. 56- 57، 83.

المحاضرة الثّانية:

الفتح الإسلامي لبلاد المغرب

تمهيد:

كان عمرو بن العاص رضي الله عنه قائدا ميّالا للجهاد لا يفرغ من إزالة سلطان مستبدّ في إقليم ما حتّى يشرع في إعداد العدّة لفتح ما يليه من الأقاليم، فما أن أتمّ فتح مصر عام 21هـ/ 643م حتّى وجّه أنظار المسلمين نحو برقة وطرابلس، لتأمين الحدود الغربيّة لمصر من الخطر البيزنطي ودفع أيّ مشروع منهم يرمي لاسترجاعها والحفاظ على المكاسب العربيّة فيها، لذلك قرّر مباشرة عمليّة فتح بلاد المغرب.

1/- أسباب الفتح الإسلامي لبلاد المغرب:

هناك أسباب عدّة اجتمعت مع بعضها البعض كانت وراء الفتح الإسلامي لبلاد المغرب أهمّها:

- نشر الإسلام وإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى وهو واجب على المسلمين تبليغ هذا الدّين وتعاليمه لأنّ الله بعثه للنّاس كافّة ولم يخص به قوما معيّنين.

- تأمين الحدود الغربيّة للدّولة الإسلاميّة من الخطر البيزنطي، فبعد فتح المسلمين لمصر أصبح لا يفصلهم عن جيوش البيزنطيين في بلاد المغرب أيّ حاجز طبيعي[1].

- استمرار الحرب بين المسلمين والبيزنطيين بعد زوال نفوذهم على يد المسلمين في فلسطين وبلاد الشّام في معركتي أجنادين عام 13هـ/ 634م واليرموك عام 15هـ/ 636هـ، وتتابع انتصارات المسلمين عليهم في مصر الّتي فُتِحت عام 20هـ/ 641م ومنها كانت وجهة المسلمين نحو بلاد المغرب[2].

2/- العوامل الّتي ساعدت المسلمين على فتح بلاد المغرب:

---

[1]- **أحمد إبراهيم الشّعراوي**، دور العرب في بلاد المغرب والأندلس، ط. 1، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب- القاهرة، 2015م، ص. 21.

[2]- شهبي عبد العزيز، المرجع السّابق، ص. 9.

هناك جملة من العوامل أسهمت بشكل كبير وشجّعت المسلمين على فتح بلاد المغرب نذكر منها:

– الأوضاع السّيئة الّتي عاشها ساكنة بلاد المغرب في ظلّ الاحتلال البيزنطي.

– ترحيب سكّان بلاد المغرب بالفتح الإسلامي خاصّة بعد أن عرفوا غاية الإسلام ومبادئه السّمحة كتحرير الإنسان من العبوديّة ونشر العدل والمساواة بين النّاس، والتّسامح مع سكّان المناطق المفتوحة، فأيقنوا أنّ رسالة الإسلام تختلف تماما مع أهداف الاحتلال.

– ضعف الحكم البيزنطي في بلاد المغرب بسبب الاضطرابات والثّورات ضدّهم من قبل السّكان (البربر)، ممّا جعل الجيش البيزنطي عاجزا على مواجهة جيوش الفتح الإسلامي[1].

3/– مسار ومراحل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب:

يمكن تقسيم مراحل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب إلى ثلاث مراحل هي:

3– أ/– مرحلة الاستكشاف وبداية الفتح (21– 28هـ/ 642– 648م):

شرع المسلمون في فتح بلاد المغرب منذ عام 21هـ/ 642م في أيّام عمرو بن العاص رضي الله عنه حين كان واليّا على مصر، فلمّا استقرّ سلطانه فيها وجّه أنظار المسلمين نحو إقليم برقة وطرابلس، فاستشار في هذا الأمر الخليفة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه () الّذي أشار عليه باستكشاف المنطقة والتّعرّف على سكّانها أوّلا بواسطة البعوث والسّرايا وأن لا يغرّر بالمسلمين في أرض يجهلونها، فاستجاب لهذا الأمر وكان أوّل بعث أرسله إليها (إلى برقة) بقيادة عقبة بن نافع الفهري الّذي رجع بأخبار مشجّعة عن المنطقة وسكّانها[2]، فسار عمرو بجيشه إليها (إلى برقة) ففتحها طواعيّة وصالح أهلها على دفع ثلاثة عشر ألف دينار[3].

---

[1])– شهبي عبد العزيز، المرجع السّابق، ص. 9.

[2])– موسى لقبال، المرجع السّابق، ص. 23.

[3])– ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج. 1، ص. 229؛ **أبو العبّاس أحمد بن يحي بن جابر البلاذري**، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطّباع، عمر أنيس الطّباع، مؤسّسة المعاف للطّباعة والنّشر– بيروت، 1987م، ص. 314؛ عبد الرّحمن بن خلدون، العبر، ج. 2، ص. 573؛ **شكري فيصل**، حركة الفتح الإسلامي في القرن الأوّل –دراسة تمهيديّة لنشأة المجتمعات الإسلاميّة–، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، 1953م، ص. 96.

ثمّ سار (عمرو بن العاص) لفتح إقليم طرابلس عام 22هـ/ 643م[1] بعد أن جهّز لهذه المهمّة جيشين أحدهما للاستيلاء على مدن الأقاليم السّاحليّة الواقعة بأيدي البيزنطيين وكان بقيادة عمرو بن العاص نفسه، والجيش الآخر بقيادة عقبة بن نافع للتوغّل في جوف البلاد المقابلة لطرابلس حتّى لا يُقْطع خطّة الرّجعة على جند المسلمين بقيادة عمرو في تقدّمهم نحو مدن السّاحل، فاستولى جيش عقبة على المنطقة الممتدّة ما بين فزّان وزويلة وبالتّالي صار كلّ مابين برقة وزويلة بيد المسلمين[2]، واستولى جيش عمرو على أهمّ مدن السّاحل كسرت ولبدة وطرابلس وصبرة (سبرت) بعد أن قضى على حاميتيهما البيزنطيّتين وعاهده أهلهما على الطّاعة ودفع الجزية[3]، ومنها حاول التّوسّع غربا لكنّ الخليفة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه طلب منه العودة إلى مصر خوفا على المسلمين من الانسياب في هذه المناطق الشّاسعة وتعرّضهم لخطر أهلها المعروفين بتمرّدهم على حكّامهم[4] واشتداد حركة المقاومة البيزنطيّة فيها، فرجع عمرو إلى الفسطاط بمصر وأصبحت برقة قاعدة ثابتة للمسلمين[5] وظلّت الأمور على حالها حتّى استشهد عمر رضي الله عنه وخلفه عثمان بن عفّان رضي الله عنه الّذي عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر وقلّدها أخاه من الرّضاعة عبد اللّه بن سعد بن أبي سرح عام 25هـ/ 645م[6].

بعد أن تولّى عبد الله بن أبي سرح ولاية مصر اتّجهت الأنظار من جديد نحو بلاد المغرب، فأخذ في الكتابة للخليفة عثمان يستأذنه ويستمدّه لفتح إفريقيّة خاصّة بعد أن علم خروج أهل طرابلس عن الطّاعة وخوفه من ضياع جهود سابقيه ورغبته في كسب مجد يعلي شأنه ويعزّز مكانته، فَأَذِنَ له الخليفة في ذلك بعد أن استشار الصحابة في الأمر[7]، وأمدّه

---

[1])- البلاذري، نفس المصدر، ص. 316.

[2])- ابن عبد الحكم، نفس المصدر، ج. 1، ص. 230.

[3])- عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص ص. 24- 25.

[4])- البلاذري، نفس المصدر، ص. 316.

[5])- موسى لقبال، تاريخ المغرب الإسلامي، ص.24.

[6])- ابن عبد الحكم، المصدر السّابق، ج. 1، ص. 233- 235؛ ابن عذاري المرّاكشي، البيان...، ج. 1، ص. 8.

[7])- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج.2، ص. 573؛ عبد الحميد حسين حمّودة، تاريخ المغرب ...، ص. 37.

بجيش كبير قوامه حوالي 20 ألف مقاتل فيه عدد من الصّحابة وأبنائهم (عبد الله بن الزّبير، عبد الله بن مسعود، عبد الله بن عبّاس، عبد الله بن عمر بن الخطّاب، عبد الله بن جعفر، عبد الله بن عمرو بن العاص، عبد الرّحمن بن أبي بكر الصّديق...)[1]، وصل هذا الجيش إلى مصر ومنها خرج قاصدا إفريقيّة في عام 27هـ/ 647م، وما أن بلغ برقة حتّى انضم إليه عقبة بن نافع ومن معه من المسلمين، ولمّا علم جرجير الحاكم البيزنطي لبلاد المغرب بقدوم المسلمين حتّى أعدّ لهم جيشا من الرّوم وبعضا من البربر بلغ تعداده حوالي 120 ألف مقاتل، فاطمأن لقوّته وخرج لملقاة المسلمين خارج عاصمة حكمه سبيطلة، والتقى الجيشان في معركة حاسمة انهزم فيها البيزنطيّون شرّ هزيمة قتل فيها حاكمهم جرجير وتفرّقت فلول جيشه داخل البلاد واستولى المسلمون على حصن سبيطلة[2] ثمّ فتحوا قفصة وحصن الأجم وغنموا وسبوا كثيرا عام 28هـ/ 648م[3].

وبعد هذه الانتصارات الّتي حقّقها عبد الله بن أبي سرح على البيزنطيين عرض عليه عظماء إفريقيّة مبلغا من المال قدّر بثلاثمائة قنطار من الذّهب مقابل أن يخرج من بلادهم فوافق عبد الله بن سرح على ذلك[4] بشرط أنّ ما أصابه المسلمون قبل الصّلح يكون من حقّهم وما أصابوه بعد الصّلح ردّوه عليهم، وعاد إلى مصر دون أن يولّي أحدا على إفريقيّة[5].

وبعد هذا النّصر الّذي تحقّق للمسلمين توقّفت عمليّة الفتح الإسلامي في بلاد المغرب بسبب الفتنة الكبرى ومقتل سيّدنا عثمان رضيّ الله عنه وما انجرّ عن هذا الأمر من خلاف بين المسلمين وانقسامهم إلى طوائف وشيع، وما أن استتبّ الأمر لمعاوية بن أبي سفيان بعد أن تنازل له الحسن بن علي عن حقّه في الخلافة حتّى بدأ يتطلّع إلى إعادة فتح إفريقيّة من جديد

---

[1])- ابن عذاري المرّاكشي، البيان...، ج. 1، ص ص. 8- 9.

[2])- **ابن الأثير: عزّ الدّين أبو الحسن علي بن محمّد بن محمّد بن عبد الكريم الجزري الشّيباني**، الكامل في التّاريخ، تحقيق: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدّوليّة- عمان (الأردن)، دون تاريخ، ص ص. 372- 373؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج. 2، ص. 574.

[3])- عبد الرّحمن بن خلدون، العبر، ج. 2، ص. 574؛ عبد الحميد حسين حمّودة، تاريخ المغرب ...، ص. 40- 41.

[4])- ابن عذاري، البيان...، ج. 1، ص. 12.

[5])- البلاذري، فتوح البلدان، ص ص. 318- 319.

مستغلاّ حالة الفوضى والاضطراب الّتي عرفتها بسبب الخلاف بين حكّامها الرّوم (البيزنطيون) ممّا أرهق سكّانها من البربر وجعلهم ينظرون إلى العرب الفاتحين كمنقذ لهم من هذه الفوضى والظّلم[1]، وبهذا تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الفتح الإسلامي للمنطقة.

3- ب/- مرحلة الفتح المنظّم (45- 69هـ/ 665- 688م):

- حملة معاوية بن حديج الكندي (45- 48هـ/ 665- 668م):

اختار معاوية بن أبي سفيان أحد قوّاده المقرّبين وهو معاوية بن حديج الكندي لاستئناف عمليّة فتح بلاد المغرب، فقصد هذا الأخير إفريقيّة على رأس جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل منهم عبد الله بن الزّبير وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الملك بن مروان وغيرهم من أشراف قريش[2]، فالتقى بجيش البيزنطيين عند موضع يسمّى قمونية بالقرب من القيروان الّتي سيقيمها عقبة بن نافع، ودار قتال شديد بين الطّرفين انتهى بهزيمة البيزنطيين هزيمة نكراء[3]، ولمّا علم الإمبراطور بذلك بعث بجيش قوامه ثلاثين ألف مقاتل ونزلوا بمدينة سوسة فقصدها المسلمون وما أن علم البيزنطيّون بذلك حتّى انسحبوا منها ودخلها المسلمون دون قتال[4]، كما فتح ابن حديج مدينتي جلولاء وبنزرت، وبعث بحملتين بحريتين إحداهما لغزو جزيرة صقلّية عام 46هـ/ 666م، والأخرى لفتح جزيرة جربة فكان له ذلك عام 47هـ/ 667م[5]، لم تُتَحْ لمعاويّة بن حديج الفرصة كي يتمّ مشروع فتح إفريقيّة إذ تمّ عزله من قبل الخليفة معاويّة بن أبي سفيان لأسباب غير معروفة وتمّ استبداله بعقبة بن نافع الفهري.

- حملة عقبة بن نافع الفهري الأولى (49- 55هـ/ 669- 675م):

ولّى الخليفة معاوية بن أبي سفيان الفاتح العظيم عقبة بن نافع الفهري على إفريقيّة، وهو من كبار التّابعين وأكثر العارفين بشأن بلاد المغرب وأحوالها، لذلك رأى أنّ فتحها (بلاد

---

[1])- عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص. 27؛ أحمد إبراهيم الشّعراوي، دور العرب...، ص. 26.

[2])- ابن عذاري، البيان...، ج.1، ص. 16؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص. 260.

[3])- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص. 261.

[4])- عبد العزيز شهبي، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 16.

[5])- عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص ص. 27- 28.

المغرب) لا يمكن أن يتحقّق إن لم يكن للمسلمين نقطة ارتكاز واستقرار فيها، لذلك شرع عقبة بن نافع في بناء مدينة القيروان[1] ابتداءً من عام 50هـ/ 670م لتكون دارا للإمارة وقاعدة حربيّة حصينة يباشر منها المسلمون عمليّة الفتح، فعُمِّرَتْ بالمنشآت ومختلف المرافق والأسواق وأصبحت مقصدا للنّاس خاصّة من البربر الّذين اعتنقوا الإسلام[2] فكان ذلك خطوة أولى في استعرابهم.

استطاع عقبة خلال هذه الحملة من فتح عدّة مدن منها غدامس وما حولها، وبلاد الجريد كمدينتي قفصة وقسطيلية وهذه المدن تعدّ من أهمّ مضارب البربر، غير أنّ حملة عقبة هذه لم تطل أكثر من خمسة أعوام حافلة بالانجازات إذ تمّ عزله من قبل الخليفة معاويّة وعيّن مكانه قائدا جديدا للمنطقة هو أبو المهاجر دينار[3].

- حملة أبي المهاجر دينار (55- 60هـ/ 675- 680م):

أقام الخليفة معاوية بن أبي سفيان أبا المهاجر دينار على إفريقيّة وقد كان مولا لمسلمة بن مخلد والي مصر[4]، ولم يكن أبو المهاجر أقلّ من ورعا وتقوى من عقبة بن نافع، كما لم يكن أقلّ منه مهارة وكفاءة في السّياسة والقيادة، فحين حلّ بإفريقية لم يتّخذ من القوّة العسكريّة والعنف وسيلة في نشر الإسلام بين البربر بل جعل من اللّين والمداراة سياسة معهم فاستمالتهم إليه ودعوتهم للإسلام فأتت هذه السّياسة أكلها (ثمارها)[5] وكانت غنيمته كبير إذ أسلم على يديه كسيلة بن لمزم زعيم قبيلة أوربة البرنسيّة البربريّة الّذي كان نصرانيّا وحليفا للبيزنطيّين،

---

[1]- **الدّبّاغ: أبو زيد عبد الرّحمن بن محمّد الأنصاري الأسيدي**، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح: إبراهيم شبوح، ط. 2، مكتبة الخانجي بمصر، 1968م، ج. 1، ص. 8؛ ابن عذاري، البيان...، ج.1، ص. 19؛ **هشام جعيط**، تأسيس الغرب الإسلامي، دار الطّليعة للطباعة والنّشر- بيروت، 2004م، ص. 18.

[2]- الدّبّاغ، معالم الإيمان، ج. 1، ص. 8؛ عبد الحميد حسين حمّودة، تاريخ المغرب...، 55.

[3]- عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص ص. 28- 29.

[4]- **عبد الواحد ذنون طه**، الفتح والاستقرار العربي في شمال إفريقيا والأندلس، ط.1، دار المدار الإسلامي- بيروت (لبنان)، 2004م، ص. 109.

[5]- **حسين مؤنس**، فتح العرب للمغرب، مكتبة الآداب بالجماميز- مصر، دون تاريخ، ص.172؛ موسى لقبال، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 41- 43.

وبإسلامه أسلم جميع من كان تحت سلطانه وزادت قوّة المسلمين وخرجوا من إفريقيّة نحو المغرب الأوسط فاتحين، فافتتح مدينة ميلة ثمّ واصل زحفه حتّى وصل إلى مدينة تلمسان في أقصى غرب المغرب الأوسط[1].

وبعد أن اكتسب أبو المهاجر ودّ البربر واحترامهم ركّز جهوده على مواجهة البيزنطيين في قرطاجة، فشنّ عليهم حملة في عام 59هـ/ 679م حتّى ارتضوا الصّلح معه وتخلّوا له عن الجزء الواقع جنوبي إقليم قرطاجة، وقد ظلّ أبو المهاجر دينار على إفريقيّة والمغرب الأوسط حتّى وفاة الخليفة معاوية سنة 60هـ/ 680م، ولمّا أفضت الخلافة إلى ابنه يزيد بن معاوية (60- 64هـ/ 680- 684م) قام هذا الأخير بعزل أبي المهاجر وإعادة عقبة بن نافع على إفريقيّة من جديد[2].

- حملة عقبة بن نافع الفهري الثّانية (60- 63هـ/ 680- 683م):

عاد عقبة بن نافع من جديد لاستكمال فتح بلاد المغرب بعد عزل أبي المهاجر دينار، فنزل بقيروانه وهو برفقة عشرة آلاف فارس[3]، وشرع في تعميرها من جديد بنقل النّاس إليها فعُمِّرت وعظم شأنها[4]، ثمّ خرج عقبة بجيشه قاصدا المغرب الأوسط وقد ترك على القيروان زهيرا بن قيس البلوي، فزحف عقبة إلى باغاية (خنشلة حاليّا) الواقعة بالقرب من جبل الأوراس وتمكّن من البربر والرّوم وغنم أموالهم[5]، ثمّ مضى إلى مدينة المنستير وهي من أعظم مدن الرّوم[6]، ثمّ إلى حصن لميش وهو من أقوى حصون الرّوم فهزمهم وأصاب غنائم

---

[1]- عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص. 30.

[2]- عبد العزيز شهبي، تاريخ المغرب الإسلامي، ص ص. 17- 18.

[3]- **أبو بكر عبد الله بن محمّد المالكي**، رياض النّفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقيّة وزهّادهم ونسّاكهم وسيّر من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: بشير بكّوش، مراجعة: محمّد العروسي المطوي، ط. 1، دار الغرب الإسلامي- بيروت (لبنان)، 1983م، ج. 1، ص. 34.

[4]- المالكي، نفسه، ج. 1، ص. 34؛ حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص. 179- 180

[5]- إبراهيم بن القاسم (الرّقيق القيرواني)، تاريخ إفريقية والمغرب، تعليق وتحقيق: محمّد زينهم محمّد عزب، دار الفرجاني للنّشر والتّوزيع (ليبيا)، 1994م، ص. 42؛ الدّباغ، معالم الإيمان، ج. 1، ص. 48؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 1، ص. 24.

[6]- ابن عذاري، نفسه، ج. 1، ص. 24.

كثيرة[1]، ليواصل زحفه إلى بلاد الزّاب وهي بلاد واسعة بها مدن وقرى كثيرة، فالتقى بأهلها ومن معهم من الرّوم (البيزنطيون) على وادي المسيلة (وادي سهر) واشتدّ وطيس القتال بين الجانبين وكان النّصر حليف المسلمين[2] وأصابوا منهم غنائم كثيرة[3] وفقد البيزنطيّون سيطرتهم على إقليم الزّاب[4].

وقد كان لفتح المسلمين لهذا الإقليم أثر حاسم في تحوّل سير عملية الفتوحات الإسلاميّة، فبعد أن كانت الحرب دائرة بين البيزنطيين والمسلمين والبربر على الحياد شعر هؤلاء بأنّهم معنيّون حين وصل المسلمون إلى مضاربهم[5]، فدخل هؤلاء حلبة الصّراع كطرف ثالث إلى جانب البيزنطيين، وهذا ما حصل حين اتّجه عقبة بن نافع من الزّابّ إلى تاهرت حيث وجد البيزنطيين والبربر في صفّ واحد لمقاومته ونشب قتال عنيف بين الطّرفين انتهى بانتصار المسلمين[6]، وهنا تمكّن كسيلة البربري من الفرار والالتحاق بقومه وأخذ يحرّضهم ضدّ ضدّ عقبة بن نافع وجيشه[7].

واصل عقبة بن نافع مسيرة الفتح مكتسحا كل ما يعترضه من فلول الرّوم حتّى دخل المغرب الأقصى سنة 62هـ/ 682م، وكان أوّل قائد عربيّ مسلم يدخل هذه الأرض[8]، ففتح طنجة، وسبتة وكان عليها رجل يدعى يليان من أشراف ملوك الرّوم لاطف عقبة وأهداه هدايا

---

[1])- الرّقيق القيرواني، تاريخ إفريقيّة والمغرب، ص. 42؛ **شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهّاب النّويري**، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلميّة- بيروت (لبنان)، دون تاريخ، ج. 24، ص. 14.

[2])- الرّقيق القيرواني، تاريخ إفريقيّة والمغرب، ص ص. 42- 43.

[3])- ابن خلدون، 4/ 71.

[4])- المالكي، نفس المصدر، ج. 1، ص. 34.

[5])- الرّقيق القيرواني، تاريخ إفريقيّة والمغرب، ص. 43؛ ابن الأثير، 3/ 308؛ ابن عذاري، البيان، ج. 1، ص. 25.

[6])- الرّقيق القيرواني، تاريخ إفريقيّة والمغرب، ص. 43؛ المالكي، نفس المصدر، ج. 1، ص. 34؛ النّويري، نهاية الأرب، ج. 24، ص. 14.

[7])- شهبي عبد العزيز، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 18.

[8])- **أبو العبّاس أحمد بن خالد النّاصري**، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر النّاصري، محمّد النّاصري، دار الكتاب- الدّار البيضاء (المغرب الأقصى)، 1997م، ج. 1، ص. 137.

حسنة ونزل على حكمه[1]، ثمّ شنّ هجومه على إقليم السّوس الأدنى فلقي البربر في جموع كبيرة فقتل منهم من قتل وسبا وغنم، وفرّ منهم من فرّ نحو السّوس الأقصى حيث حشدوا قوّة كبيرة منهم تحسّبا لمواجهة عقبة، فسار إليهم وهزمهم[2]، ثمّ واصل زحفه حتّى بلغ المحيط الأطلسي فدخل فيه بفرسه وقال قولته المشهورة وهو رافع يديه إلى السّماء:" يا رب، لولا هذا البحر منعني لمضيت في البلاد إلى مسلك ذي القرنين مدافعا عن دينك مقاتلا من كفر بك وعبد غيرك."[3].

وهنا أخذ عقبة بن نافع طريق العودة إلى القيروان ولمّا بلغ مدينة طبنة في إقليم الزّاب أرسل غالبيّة جيشه من طريق الشّمال، بينما سار هو وقلّة ممّن تبقّى معه من الجند نحو حصن تهودة لإقامة معسكر للمسلمين في منطقة الأوراس فاعترض سبيله كسيلة البربري مع حشد كبير من البربر والرّوم وقطع عليه خطّة الرّجعة ودارت بين الجانبين معركة حاميّة الوطيس استشهد فيها عقبة بن نافع وأبي المهاجر دينار وغالبيّة من معهما من الجند سنة 63هـ/ 683م ليأتي الدّور على فاتح جديد للمنطقة وهو زهير بن قيس البلوي[4].

- حملة زهير بن قيس البلوي (63هـ- 69هـ/ 683- 688م):

لقد كان لاستشهاد عقبة بن نافع بالغ الأثر في نفوس المسلمين الّذين انسحبوا إلى برقة بقيادة زهير بن قيس البلوي وأقاموا فيها مرابطين، بينما استولى كسيلة البربري بجيوشه على القيروان واستبدّ بأمرها لخمس سنين[5] وأسفر عن ذلك ردّة الكثير من أهل المغرب وخروج إفريقيّة إفريقيّة عن سلطان المسلمين، ولمّا تولّى عبد الملك بن مروان أمر الخلافة عزّ عليه أن يضيع المغرب وهو قد شارك في عمليّة فتحه، فبعث لزهير بن قيس البلوي كي يقود حملة لاسترجاع

---

[1]- ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 1، ص ص. 25- 26؛ عبد الحميد حسين حمّودة، تاريخ المغرب، ص ص. 72- 73.

[2]- الرّقيق القيرواني، تاريخ إفريقيّة والمغرب، ص ص. 43- 44؛ النّويري، نهاية الأرب، ج. 24، ص ص. 14- 15.

[3]- ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، ص ص. 527- 528؛ الدّباغ، معالم الإيمان، ج. 1، ص ص. 46- 47؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 1، ص. 26- 27؛ النّويري، نهاية الأرب، ج. 24، ص ص. 14- 15.

[4]- ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، ص. 528.

[5]- السيلاوي النّاصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ص. 140.

القيروان بعد أن استبدّ كسيلة بأمرها، وكان ذلك عام 69هـ/ 688م[1]، فسار إليها زهير بجيش كبير من جند الشّام، ولمّا سمع كسيلة بقدومه خرج عنها إلى موضع حصين بينها وبين تبسّة يعرف باسم مَمْس[2] حيث دارت معركة حاسمة بين الطّرفين انتهت بانتصار جيش المسلمين ومقتل كسيلة البربري وهو ما أثار هياج أتباعه من البربر على المسلمين لذلك آثر زهير بن قيس البلوي الانسحاب من القيروان إلى برقة، وقد تزامن وصول زهير إلى برقة مع وصول أسطول بحري بيزنطي إليها وإنزال قوّاته بجوار مدينة درنة فعاثوا فيها فسادا ممّا استدعى تدخّل زهير بن قيس مع من معه من الجند ودارت بين الجانبين معركة عنيفة استشهد فيها زهير بن قيس ومعظم جنده من بينهم بعض أبناء الصحابة الأجلاّء[3]، لتنتهي هذه المرحلة وتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ المغرب وهي مرحلة الاستقرار واستكمال الفتح.

3- ج/- مرحلة الاستقرار واستكمال الفتح الإسلامي لبلاد المغرب (77- 92هـ/ 696- 711م):

- حملة حسّان بن النّعمان الغسّاني (74- 85هـ/ 693- 704م):

اشتدّ غضب عبد الملك بن مروان حين بلغه خبر استشهاد زهير بن قيس البلوي ومن معه من المسلمين، وأراد أن يعيد السّيطرة الإسلاميّة على إفريقيّة لكن الاضطرابات الّتي شهدها المشرق حالت دون تحقيق ذلك (انشغال دار الخلافة بثورة عبد الله بن الزّبير، وثورة عمرو بن سعيد الأشدق)، وما أن استقرّت الأمور للخليفة عبد الملك بن مروان حتّى وجّه أنظاره نحو

[1]- عبد الحميد حسين حمّودة ، تاريخ المغرب، ص. 79؛ أحمد إبراهيم الشّعراوي، دور العرب في بلاد المغرب والأندلس، ص. 36.

[2]- ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 1، ص. 30- 32.

[3]- ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، ص ص. 528- 529؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 1، ص ص. 32- 33.

المغرب ليسدّ ثغره ويصلح أمره[1]، لذلك اختار لهذه المهمّة قائدا هماما بارعا هو حسّان بن النّعمان الغسّاني[2].

أمّا عن سير الحملة ففيه اختلاف بين المؤرّخين فالبكري حدّدها بعام 68هـ/ 687م[3]، أمّا المالكي والسّلاوي النّاصري فجعلاها عام 69هـ/ 688م[4]، وجعلها ابن عبد الحكم عام 73هـ/ 693م[5]، وابن الأثير عام 74هـ/ 694م[6]، وهما الرّأيان الأقرب للصّحة لأنّهما يتوافقان مع تاريخ صدور مرسوم تعيين حسّان من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان عام 73هـ/ 693م، وفي نفس الوقت يوافق هذان التّاريخان نهاية الاضطرابات الّتي عرفتها دار الخلافة بالمشرق بعد القضاء على ثورة عبد اللّه بن الزّبير في هذا العام (73هـ/ 693م)، في حين جعلها ابن عذاري عام 78هـ/ 697م[7] وهنا يكون ابن عذاري قد اختلط عليه الأمر ولم يفرّق بين حملتي حسّان الأولى والثّانية الّتي أعاد فيها فتح قرطاجنّة في هذا التّاريخ (78هـ/ 697م.

سار حسّان بن النّعمان إلى مصر وتحت إمرته جيش ضخم قوامه أربعون ألف رجل[8]، وقيل ستّة آلاف رجل[9]، والأرجح أن يكون أربعين ألفا حسب وصف ابن الأثير له بقوله:"فلم يدخل إفريقيّة جيش مثله."[10]، وفي إفريقيّة انضمّ إليه عدد آخر من المسلمين البربر

---

[1])- ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، ص. 602؛ **السّيد عبد العزيز سالم**، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس(من الفتح العربي حتّى سقوط الخلافة بقرطبة)، مؤسّسة شباب الجامعة- الإسكندريّة، 1997م، ص ص. 41- 42.

[2])- ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، ص. 602؛ **هيو كينيدي**، الفتوح الإسلاميّة (كيف غيّر انتشار الإسلام العالم الّذي نعيش فيه)، ترجمة وتقديم وتعليق: قاسم عبده قاسم، عين للدّراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة- القاهرة (مصر)، ط. 1، 2013م، ص. 240.

[3])- **أبو عبيد البكري**، المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فان ليوفن، أندري فيري، الدّار العربيّة للكتاب- تونس، 1992م، ج. 2، ص. 654.

[4])- المالكي، رياض النّفوس، ج. 1، ص. 48؛ السّلاوي النّاصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ص. 148.

[5])- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج. 1، ص. 269.

[6])- ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، ص. 602.

[7])- ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 1، ص. 34.

[8])- ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 1، ص. 34؛ النّويري، نهاية الأرب، ج. 24، ص. 18.

[9])- المالكي، رياض النّفوس، ج. 1، ص. 48؛ الدّبّاغ، معالم الإيمان، ج. 1، ص. 60.

[10])- ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، ص. 602.

يقودهم هلال بن ثروان اللّواتي[1]، وقد قرّر حسّان أن تكون أولويّته في البداية هي القضاء على على الوجود البيزنطي في المنطقة من خلال مهاجمته لقرطاجنّة آخر ما تبقّى من مراكز الإدارة البيزنطيّة في المنطقة فزحف بجيشه نحوها ودخلها وخرّبها، ففرّ منها ما تبقّى من الرّوم والفرنجة نحو الأندلس وصقلّية[2]، ثمّ هاجم بعض الفارّين من البيزنطيين في مدينتي صطفورة وبنزرت وهزمهم هزيمة ساحقة ومنها عاد إلى القيروان لأخذ قسط من الرّاحة وتضميد الجراح ولملمة الصّفوف استعدادا للجولة الثّانية مع البربر[3].

بعد أن قهر حسّان البيزنطيّين عزم على توجيه ضربة قويّة للبربر، فسأل عن أعظم زعمائهم قوّة وسلطانا فدلّوه على الكاهنة (دهية بنت ماتيا) زعيمة قبيلة جراوة الزّناتيّة البتريّة ملكة جبل أوراس، فخرج إليها وكانت قد أعدّت عدّتها لمواجهته لأنها كانت تعلم علم اليقين أنّ دورها آتٍ لا محال، والتقى الجمعان بالقرب من وادي مسكيانة الواقع على نهر نيني[4] في معركة حامية الوطيس مني فيها جيش حسّان بالهزيمة ومقتل الكثير من جنده وأسر حوالي ثمانين من رجاله[5].

طاردت الكاهنة فلول جيش حسّان بن النّعمان حتّى قابس وبذلك أخرجتهم من إفريقيّة كلّها، فاتّجه حسّان إلى برقة ومن هناك كتب إلى الخليفة عبد الملك يخبره بما حلّ به وبجيشه، فجاءه الرّد من الخليفة يأمره بالبقاء هناك حتّى يصله المدد، وبقي حسّان ينتظر ذلك لمدّة خمس سنين[6]، بينما عادت الكاهنة أدراجها إلى قاعدة ملكها بجبال الأوراس وأحسنت معاملة

---

[1])- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج. 1، ص ص. 269- 270.

[2])- المالكي، رياض النّفوس، ج. 1، ص ص. 48- 49؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 1، ص ص. 34- 35.

[3])- المالكي، رياض النّفوس، ج. 1، ص. 49؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 1، ص. 35؛ عبد الحميد حسين حمّودة، تاريخ المغرب، ص. 88؛ عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص. 35.

[4])- ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، ص. 602؛ النّويري، نهاية الأرب، ج. 24، ص. 19.

[5])- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج. 1، ص. 270؛ المالكي، رياض النّفوس، ج. 1، ص. 51؛ البكري، المسالك والممالك، ج. 2، ص. 654.

[6])- المالكي، رياض النّفوس، ج. 1، ص. 51؛ عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص. 35.

الأسرى المسلمين ثمّ أطلقت سراحهم سوى واحد منهم وهو خالد بن يزيد القيسي الّذي تبنّته الكاهنة إلى جانب ولديها والّذي أصبح عين حسّان على الكاهنة[1].

اعتقدت الكاهنة أنّ غاية المسلمين من فتح المغرب هي الحصول على المال والغنائم، وللحدّ من أطماعهم وصرف أنظارهم قامت الكاهنة بقطع الأشجار وإتلاف الزّروع، وهدم الحصون وتخريب العمران حتى أقفرت إفريقيّة وانهارت إقتصاديات البلاد فأضرّت هذه السّياسة بأتباع الكاهنة ودفعت بالكثير منهم للتّخلّي عنها[2] والتّوجّه لحسّان بن النّعمان طالبين منه الغوث والإعانة على ما حلّ بهم[3]، وما أن وصل المدد إلى حسّان حتّى أرسل إلى خالد بن يزيد القيسي يستفسره عن أحوال الكاهنة وما حولها من البربر فجاءته الأخبار بتفرّق كلمة البربر وتمرّدهم عليها وحثّه على غزوها[4]، فلم يتوان حسّان في ذلك وقاد جموعه متّخذا أقصر أقصر الطّرق إليها، ولمّا علمت بمقدمه خرجت للقائه بعيدا عن دار ملكها بجبل الأوراس، ولمّا التقى الجيشان انهزم جيش الكاهنة وأبت أن تستسلم أو تفرّ من ساحة المعركة فَقُتِلَتْ عام 80هـ/ 699م بعد أن أمّنت ولديها عند حسّان بن النّعمان[5].

بعد مقتل الكاهنة وتفرّق جموعها استتبّت الأوضاع في بلاد المغرب وتوجّه حسّان بن النّعمان إلى قرطاجنّة لتطهيرها من فلول البيزنطيين الذين فرّوا منها دون مواجهة، ثمّ انصرف إلى القيروان ونظرا لخشية حسّان من هجمات البيزنطيين من جهة البحر قام بتأسيس مدينة تونس وتعميرها وأنشأ فيها دارا لصناعة السّفن كي تكون قاعدة بحريّة للأسطول الإسلامي في حوض المتوسّط، ثمّ شرع في تنظيم البلاد فدوّن الدّواوين، ونظّم الخراج، وبعث العمّال إلى سائر الأقطار والأقاليم في بلاد المغرب، وعمل على نشر الإسلام بين البربر بتوزيع العلماء

---

[1])- البكري، المسالك والممالك، ج. 2، ص. 654؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 1، ص. 37؛ الرّقيق القيرواني، تاريخ إفريقيّة والمغرب، ص. 47؛ عبد الحميد حسين حمّودة، تاريخ المغرب، ص ص.91- 92.

[2])- ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 1، ص ص. 36- 37؛

[3])- الرّقيق القيرواني، تاريخ إفريقيّة والمغرب، ص ص. 48- 49؛ عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص. 36.

[4])- ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، ص. 602- 603؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 1، ص. 37.

[5])- الدّبّاغ، معالم الإيمان، ج. 1، ص. 65- 67؛ شهبي عبد العزيز، تاريخ المغرب الإسلامي، ص ص. 21- 22.

والفقهاء في سائر أنحاء البلاد لتعليمهم قواعد الدّين ونشر اللّغة العربيّة، وهكذا تمّ لحسّان بن النّعمان الفتح النّهائي لبلاد المغرب وبقي فيها حتّى تمّ عزله عام 85هـ/ 704م لخلاف بينه وبين والي مصر عبد العزيز بن مروان[1].

- فتح موسى بن نصير اللّخمي (86- 93هـ/ 705- 712م):

بعد عزل حسّان بن النّعمان عن ولاية المغرب اختار لها والي مصر عبد العزيز بن مروان قائدا جديدا لا يقلّ مكانة عن حسّان، هو مولاه موسى بن نصير اللّخمي الّذي عُرِفَ بمهارته العسكريّة وحنكته السّياسيّة، وقد اختلفت روايات المؤرّخين حول تعيينه على رأس بلاد المغرب، فاليعقوبي جعلها سنة 77هـ/ 696م[2]، أمّا ابن عبد الحكم جعلها سنة 78هـ/ 697م[3]، بينما ابن قتيبة وابن الأبّار حدّداها بسنة 79هـ/ 698م[4]، وابن أبي دينار بسنة 88هـ/ 706م[5]، أمّا البلاذري والنّويري فحدّداها بسنة 89هـ/ 707م[6]، أمّا المؤرّخون الحديثون فالغالبيّة العظمى منهم حدّدوها بأواخر عام 85هـ/ 704م وأوائل عام 86هـ/ 705م لأنّ ذلك يتماشى مع سير الأحداث في الدّولة الإسلاميّة[7].

---

[1]- السّلاوي النّاصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج. 1، ص ص. 149- 150؛ شهبي عبد العزيز، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 22؛ هيو كينيدي، الفتوح الإسلاميّة، ص. 245.

[2]- **أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب**، تاريخ اليعقوبي، دون محقق، مطبعة الغرى – النّجف، دون تاريخ، ج. 3، ص. 22.

[3]- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج. 1، ص. 274.

[4]- **أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ابن الأبّار)**، الحلّة السّيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف- القاهرة، ط. 2، 1985م، ج. 2، ص. 332؛ **أبو محمّد عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة الدينوري)**، الإمامة والسّياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء للطّباعة والنّشر والتّوزيع- بيروت (لبنان)، 1990م، ج. 2، ص. 71.

[5]- **ابن أبي دينار: محمّد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني**، المؤنس في أخبار إفريقيّة وتونس، دون محقق، دار المسيرة- بيروت (لبنان)، ط. 3، 1993م، ص. 48.

[6]- البلاذري، فتوح البلدان، ج. 1، ص. 322؛ النّويري، نهاية الأرب، ج. 24، ص. 21.

[7]- عبد الحميد حسين حمّودة، تاريخ المغرب، ص، ص. 100، 102؛ شهبي عبد العزيز، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 22؛ عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص.37؛ أحمد إبراهيم الشّعراوي، دور العرب في بلاد المغرب والأندلس، ص. 44؛ هيو كينيدي، الفتوح الإسلاميّة، ص. 245.

زاوج موسى بن نصير في سياسته ببلاد المغرب بين الشّدّة واللّين، فبدأ ولايته بالقضاء على جيوب المقاومة في إفريقيّة فقام بتأمين القيروان وما جاورها باعتبارها قاعدة الفتح الإسلامي في البلاد المغرب ثمّ وجّه أوّل سريّة من جيشه قوامها خمسمائة فارس بقيادة عبد الملك الخشيني نحو قلعة زغوان للقضاء على بعض المتمرّدين من البربر فيها وتمكّن من فتح وسبي ما فيها، كما وجه حملات بقيادة ولديه عبد الرّحمن ومروان إلى بعض نواحي القيروان ففتحوا وسبوا وغنموا، ثمّ انطلق ليتم بسط نفوذه على المغرب الأوسط فأرسل حملة قوامها ألف فارس بقيادة عياش بن أخيل إلى قبائل هوارة وزناتة، وقد أوصاه موسى بمعاملة القبائل الرّاغبة في الصّلح معاملة كريمة مع تقديم بعض الرّهائن عنهم كضمان لاحترام العهود والمواثيق، وقد أتت هذه السّياسة أُكلها حيث كثرت أعداد الدّاخلين في الإسلام من أهل المغرب الأوسط[1]، كما بعث بحملة قوامها ستة آلاف مقاتل إلى قبيلة صنهاجة فغزا أراضيها في منطقة وادي ملويّة بالمغرب الأوسط فسبى وغنم الكثير، كما زحف موسى بنفسه على رأس جيش قوامه عشرة آلاف من المسلمين سنة 83هـ/ 702م إلى مدينة سجوما إحدى مدن قبيلة أوربة في المغرب الأوسط، وظفر بها وسبى منها الكثير أيضا[2].

بعد ذلك وجه موسى بن نصير أنظاره نحو المغرب الأقصى رغبة منه في توسيع عمليّاته العسكريّة، فبعث ابنه مروان على رأس حملة عسكريّة كبيرة[3] مكوّنة من خمسة آلاف رجل إلى السّوس الأقصى[4]، وقد حققت نجاحا باهرا فبالإضافة إلى السّبي والغنائم شهدت أيضا إقبالا كبيرا من قبل السّكان على دين الإسلام[5]، ثمّ سيّر حملة أخرى بقيادة ابنه عبد الله لإخضاع الخارجين عن الطّاعة فسبى منهم الكثير[6]، ليخرج موسى بنفسه لمطاردة ما تبقّى من من البربر الفارّين في إقليم السّوس الأدنى وفي أكبر حواظره كمدينة طنجة، فدكّ مضاجعهم

---

[1])- **إبراهيم أحمد العدوي**، موسى بن نصير، دار الكتاب العربي للطّباعة والنّشر، 1967م، ص. 39.

[2])- الرّقيق القيرواني، تاريخ إفريقيّة والمغرب، ص.

[3])- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج. 1، ص. 275؛ إبراهيم أحمد العدوي، موسى بن نصير، ص. 41.

[4])-عبد الحميد حسين حمّودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص. 106.

[5])- إبراهيم أحمد العدوي، موسى بن نصير، ص. 41.

[6])- النّويري، نهاية الأرب، ج. 24، ص. 21.

الواحد تلوى الآخر ولم تهزم لجيوشه راية قط حتّى مُلِئَ منه البربر خوفا ورعبا فأتوه خانعين خاضعين طالبين الأمان فعرّفهم الفقهاء بشرائع الإسلام وأدركوا حقيقة هذا الدّين فاعتنقوه ودخلوا فيه أفواجا أفواجا[1]

ولم تمتنع على موسى في بلاد المغرب كلّها سوى مدينة سبتة لحصانتها فعقد صلحا ومعاهدة مع حاكمها يوليان النّصراني، ولم تمكث في يده طويلا بعد ذلك حيث ضمّها المسلمون إلى البلاد المفتوحة بعد عبورهم إلى شبه الجزيرة الأيبيريّة والقضاء على مملكة القوط الغربيين فيها[2].

4)- العراقيل الّتي واجهت المسلمين في فتحهم لبلاد المغرب:

واجه المسلمون في فتحهم لبلاد المغرب جملة من الصّعوبات والعراقيل الّتي أطالت في مدّة عمليّة الفتح، والّتي زادت عن السّبعة عقود من الزّمن، ومن أبرزها:

- صعوبة تضاريس المنطقة وتنوّعها (بلاد المغرب)، فكثرة الجبال فيها عرقلت وحدّت تحرّكات جيوش الفتح الإسلامي الّذين تعوّدوا على الأراضي المفتوحة والمنبسطة في شبه الجزيرة العربيّة، وفي نفس الوقت شكّلت هذه البيئة (الجبليّة) ملاذا آمنا لكلّ الرّافضين للوجود الإسلامي.

- قسوة مناخ المنطقة وتنوّعه (بلاد المغرب) خاصّة برودة فصل الشّتاء وكثرة التّساقط وقف كعائق أمام جهود الفاتحين الّذين أَلِفوا العيش في البيئة الحارّة في شبه الجزيرة العربيّة.

- طبيعة الفرد البربري وشدّة مراسه ورفضه الخضوع للأجنبي واعتقاده أنّ المسلمين غزاة جدد لا يختلفون عن من سبقهم من المحتلّين الّذين مرّوا على بلاد المغرب كالرّومان والوندال والبيزنطيين.

- الوجود البيزنطي في المنطقة (بلاد المغرب) ومقاومتهم لجيوش الفتح الإسلامي سعيا منهم للحفاظ على وجودهم بالمنطقة وحوض البحر الأبيض المتوسّط.

---

1)- الرقيق، ص. 69؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 1، ص. 42.

2)- عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص. 38.

– تأثّر عمليّة الفتح الإسلامي في بلاد المغرب بمجريات الأحداث في دار الخلافة وانقسام المسلمين انفسهم وصراعهم بعضهم بعضا منذ الفتنة الكبرى في عهد سيّدنا عثمان بن عفّان رضي الله عنه وما تبعها من اضطرابات في الدّولة الإسلاميّة بالمشرق.

– بعد المسافة بين عاصمة الخلافة الإسلاميّة في المشرق وبلاد المغرب ممّا صعّب عمليّة الاتّصال ووصول الإمدادات لجيوش الفتح الإسلامي بالمنطقة وهو ما أسهم في طول مدّة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب.

المحاضرة الثّالثة:

الموضوع: عصر الولاة في بلاد المغرب (خصائصه ومميزاته).

تمهيد:

لقد مرّ المغرب الإسلامي منذ أن أتمّ المسلمون عملية فتحه إلى غاية نهاية العصر الوسيط، بمرحلتين أساسيّتين في تطوره السياسي هما عصر الولاة وعصر الإمارات والدول المستقلة، وقد كان لكل مرحلة من هذه المراحل خصائص ومميزات.

1/- مفهوم عصر الولاة:

يطلق مصطلح عصر الولاّة في التّاريخ الإسلامي على الفترة الزّمنيّة الواقعة بين تمام فتح أيّ بلد وقيّام أوّل دول مستقلّة فيه[1]، وتوقّف دار الخلافة عن إرسال ولاّتها إلى ذلك البلد أو الإقليم[2]، وقد اختلف المؤرّخون الحديثون حول بداية هذا العصر في بلاد المغرب، فالبعض اعتبر عبور"**موسى بن نصير**" إلى الأندلس عام 93 هـ/ 712م بداية له[3]، وبعض آخر اعتبر تاريخ استدعاء موسى بن نصير من قبل الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك سنة 96هـ/ 714م كبداية له[4]، والأرجح في ذلك هو تاريخ عبور موسى إلى الأندلس لأنّ تاريخ استدعاء موسى إلى المشرق يعتبر بداية لعصر الولاّة في الأندلس.

لكن نهايته لم تكن في تاريخ واحد بالنسبة لأقاليم بلاد المغرب المتعدّدة، فقد انتهى في منطقه "تامسنا" في غرب المغرب الأقصى عام 123هـ/739م بقيام إمارة "بورغواطة"، وانتهى في جنوب المغرب الأقصى عام 140 هـ/757م بقيام دولة "بني مدرار" في "سجلماسة"[5]، وفي المغرب الأوسط عام 160هـ/778م بقيام "الدولة الرستمية"، وفي المغرب الأقصى في

---

[1])- **حسين مؤنس**، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرّشاد- القاهرة، 1997م، 65.

[2])- عبد الحميد حسين حمّودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص. 123.

[3])- عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص. 77.

[4])- شهبي عبد العزيز ، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 26؛ مطهري فطيمة، حاضرة القيروان دراسة تاريخية وحضارية، ص. 29.

[5])- عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص. 77.

ويليلي ثم فاس عام 172هـ/ 788م بقيام "دولة الأدارسة" وفي المغرب الأدنى عام 184هـ/800 م بقيام "**دو**لة الأغالبة"[1].

2/- أهمّ الولاّة الّذين تعاقبوا على حكم بلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي:

تعاقب على حكم بلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي خلال عصر الولاة أكثر من عشرين واليا منهم ثمانية ولّاة خلال عهد الخلافة الأمويّة، وثلاثة عشر خلال عهد الخلافة العبّاسيّة وهم كالآتي:

2- أ/ ولاّة بلاد المغرب خلال عهد الخلافة الأمويّة:

- محمّد بن يزيد القشيري (97- 100هـ/ 716- 718م): عيّنه الخليفة سليمان بن عبد الملك وقد دامت ولايته لما يزيد عن السّنتين[2].

- إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر(100- 102هـ/ 718- 720م): اختاره الخليفة عمر بن عبد العزيز واليّا لبلاد المغرب عرف بحسن السّيرة فامتاز عهده بانتشار واسع للإسلام بين البربر[3].

- يزيد بن أبي مسلم الثّقفي (102- 103هـ/ 720- 721م): أقرّه الخليفة يزيد بن عبد الملك اتّسمت سياسته بالشّدّة والحزم تجاه أهل المغرب ممّا دفع أتار حافظة بعض حرسه فقتلوه[4].

- بشر بن صفوان الكلبي(103- 109هـ/ 721- 727م): عيّنه الخليفة يزيد بن عبد الملك خلفا ليزيد بن أبي مسلم، تميّز بحسن المعاملة والسّير على نهج المساواة بين العرب والبربر

---

[1]- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص. 65؛ عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، 123.

[2]- النّويري، نهاية الأرب، ج. 24، ص. 29؛ **فاطمة عبد القادر رضوان**، المغرب في عصر الولاّة الأمويين، (رسالة ماجستير منشورة)، جامعة أمّ القرى – المملكة العربيّة السّعوديّة، 1984م، ص. 35- 38.

[3]- الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقيّة والمغرب، ص.61؛ المالكي، رياض النّفوس، ص. 116؛ فاطمة عبد القادر رضوان، المغرب في عهد الولاّة الأمويين، ص. 43- 48.

[4]- ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقيّة وتونس، ص. 52، فاطمة عبد القادر رضوان، المغرب في عهد الولاّة الأمويين، ص. 58- 66.

فأعاد الأمن والاستقرار لربوع البلاد، قام بحملة على جزيرة صقلّية فعاد منها منتصرا محمّلا بالغنائم[1].

- عبيدة بن عبد الرّحمن السّلمي (110- 116هـ/ 728- 734م): عيّن خلفا لبشر بن صفوان الكلبي من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك، تميّز عهده باشتعال نار الفتنة بين العصبتين القيسيّة واليمنيّة، كما أرسل بعدّة حملات بحريّة نحو جزيرة صقلّية[2].

- عبيد الله بن الحبحاب السّلولي (116- 123هـ/ 734- 741م): عيّنه الخليفة هشام بن عبد الملك واليّا على بلاد المغرب، وقد شهد عهده اضطرابات كثيرة بسبب سياسته الجائرة في سلب المال وسبي النّساء من المغاربة ممّا دفعهم للتّمرّد والعصيان وإشعال نار الثّورات ضدّه[3].

- كلثوم بن عيّاض القشيري (123- 124هـ/ 741- 742م): عيّنه الخليفة هشام بن عبد الملك، وأرسله على رأس جيش كبير جمعه من مختلف الأمصار الإسلاميّة من المشرق حتّى المغرب[4]، وقدّر تعداد هذا الجيش بحوالي سبعين ألف مقاتل[5]، وقيل ثلاثون ألف مقاتل[6]، ورغم كلّ هذه الاستعدادات الضّخمة إلاّ هذا انهزم شرّ هزيمة أمام جيش البربر بقيادة خالد بن

---

[1]- النّويري، نهاية الأرب، ج. 24، ص. 30.

[2]- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج. 1، ص. 291- 293.

[3]- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج. 1، ص. 293- 294؛ عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص ص. 82- 83.

يذكر ابن أبي دينار أن قدوم عبيد الله بن الحباب وبداية ولايته على بلاد المغرب كان سنة 110هـ وهو بذلك يخالف جلّ المصادر والمراجع الّتي تحدّثت عن ولايته لبلاد المغرب. أُنظر: ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقيّة وتونس، ص. 54.

[4]- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج. 1، ص. 294؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 1، ص. 54؛ النّويري، نهاية الأرب، ج. 24، ص. 32؛ عبد الحميد حسين حمّودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص. 139.

[5]- **مؤلّف مجهول**، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري- القاهرة، ط. 2، 1989م، ص. 35- 37.

[6]- **ابن القوطيّة: أبوبكر محمّد بن عمر بن عبد العزيز**، تاريخ إفتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري- القاهرة، ط. 2، 1989م، ص. 40؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 1، ص. 55.

حبيب الزّناتي في موقعة بوقدورة عند وادي سيبو في طنجة وقتل فيها الوالي كلثوم بن عياض القشيري[1].

– حنظلة بن صفوان الكلبي (124– 127هـ/ 742– 745م): تولّى أمر بلاد المغرب بتعيين من الخليفة هشام بن عبد الملك، وقد قاد حربا ضروس ضدّ الخوارج في بلاد المغرب وتمكّن من هزمهم وتفريق شملهم، ليتمّ عزله عن ولاية بلاد المغرب بالقوّة من قبل عبد الرّحمن بن حبيب الفهري الّذي نصّب نفسه واليّا عليها بعد عودته من الأندلس[2].

2– ب/ ولاّة بلاد المغرب خلال عهد الخلافة العبّاسيّة:

– عبد الرّحمن بن حبيب الفهري (127– 136هـ/ 745– 753م): تولّى أمر المغرب بعد عزله لحنظلة بن صفوان، وما أن سقطت الخلافة الأمويّة وقامت الخلافة العبّاسيّة حتّى أسرع للخطبة للعبّاسيين فأقرّه الخليفة أبو العبّاس السّفاح (132– 136هـ/ 750– 754م) على ولايته (بلاد المغرب).

– إلياس بن حبيب (137– 138هـ/ 754– 755م): تولّى أمر ولاية بلاد المغرب بعد أن تغلّب على أخيه عبد الرّحمن بن حبيب وعزله عن الولاية وقتله[3].

– حبيب بن عبد الرّحمن بن حبيب الفهري (138– 140هـ/ 755– 757م): تولّى أمر ولاية المغرب بعد خلاف مع عمّه إلياس بن حبيب فعزله وقتله وتولّاها هو حتّى مقتله في شهر محرّم سنة 140هـ/ 757م على يد جماعة من طائفة الخوارج الصّفريّة بزعامة عبد الملك بن أبي الجعد اليفريني، وعمّت الفوضى بلاد إفريقية وتغلّب عليها بعض القبائل الصّفرية (قبيلة ورفجومة البربريّة) لمدّة أربعة عشر شهرا، ثمّ دخل إفيها الخوارج الإباضيّة بزعامة أبو الخطّاب عبد الأعلى بن السّمح المعافري الّذي أنزل هزيمة ساحقة بقبيلة ورفجومة وطردها من القيروان

---

[1])– ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، ص. 730؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 1، ص. 55.

[2])– ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 1، ص. 58– 60؛ فاطمة عبد القادر رضوان، المغرب في عهد الولاّة الأمويين، ص. 135– 146؛ **البكّوش عيسى**، نفحات من تاريخ تونس من سالف الأزمان إلى عهد الأمان، منشورات نيرفانا– تونس، ط. 1، 2022م، ص. 81.

[3])– البكّوش عيسى، نفحات من تاريخ تونس، ص. 82.

وعيّن عليها عبد الرّحمن بن رستم وعاد هو إلى طرابلس لمواجهة جيش الخلافة العبّاسية بقيادة محمّد بن الأشعث الخزاعي الّذي ظلّ يحارب الخوارج في بلاد المغرب ما بين عامي (144-148هـ/ 761- 765م).

- الأغلب بن سالم التّميمي (148- 151هـ/ 765- 768م):أرسله أبو جعفر المنصور واليّا على بلاد المغرب خلفا لمحمّد بن الأشعث الخزاعي.

- عمر بن حفص المهلّبي (151- 155هـ/ 768- 772م): عيّنه الخليفة أبو جعفر المنصور خلفا للأغلب بن سالم التّميمي بعد مقتله على إثر سهم أصابه وهو يواجه أحد الثّائرين عليه يدعى الحسن بن حرب الكندي.

- يزيد بن حاتم المهلّبي (155- 171هـ/ 772- 787م): عيّنه الخليفة أبو جعفر المنصور واليّا على بلاد المغرب، تميّز بحسن السّيرة والحزم في تسيير البلاد[1].

- داود بن يزيد بن حاتم (171هـ/ 787م): خلف والده يزيد بن حاتم على رأس بلاد المغرب، وقد دامت ولايته حوالي تسعة أشهر ونصف[2]، حيث تنازل عن أمرها إلى عمّه روح بن حاتم[3] وعاد هو إلى المشرق[4].

- روح بن حاتم (171- 174هـ/ 787- 791م): عيّنه الخليفة هارون الرّشيدعلى بلاد المغرب، وقد عرف بالجود والكرم تميّز عهده بالاستقرار[5].

---

[1]- حسين بن محمّد بن وادران، تاريخ العبّاسيين، تحقيق: المنجي الكعبي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط. 1، 1993م، ص. 631.

[2]- الرّقيق القيرواني، ص. 169؛ شهبي عبد العزيز، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 27.

[3]- ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 1، ص. 82؛ ابن الأبّار، ج. 2، 360؛ شهبي عبد العزيز، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 27.

[4]- النّويري، نهاية الأرب، ج. 24، ص. 88.

[5]- عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص. 155.

– نصر بن حبيب المهلبي (174– 177هـ/ 791– 793م): عيّنه الخليفة هارون الرّشيد بعد وفاة الوالي روح بن حاتم[1]، وكان رجلا محمود السّيرة وهو صاحب شرطة روح بن حاتم على مصر وإفريقيّة قبل أن يعيّن واليّا على بلاد المغرب[2].

– الفضل بن روح بن حاتم (177– 178هـ/ 793– 794م): تولّى أمر المغرب بكتاب من الخليفة هارون الرّشيد بعد عزله للوالي نصر بن حبيب[3]، مات مقتولا في شهر شعبان 178هـ/ 794م ودامت ولايته سنة وخمسة أشهر[4].

– هرثمة بن أعين (179– 181هـ/ 795– 797م): عيّنه الخليفة هارون الرّشيد بعد مقتل بعد مقتل الفضل بن روح بن حاتم، فدخل القيروان في غرّة ربيع الثّاني 179هـ/ 795م دام حكمه ما يقارب العامين والنّصف حيث تمّ إعفاؤه في شهر رمضان 181هـ/ 797م[5].

– محمّد بن مقاتل العكّي (181– 184هـ/ 797– 800م): ولاّه أمير المؤمنين الخليفة هارون الرّشيد وهو أخوه من الرّضاعة[6]، كان سيء السّيرة مع الرّعيّة حيث اضطربت أوضاع المغرب المغرب في عهده[7]، فثار عليه عامله على تونس تمّام بن تميم التّميمي وعزله في شهر رمضان 183هـ/ 799م بعد دخوله القيروان، فغادر إلى الشّرق ونزل بطرابلس[8].

– إبراهيم بن الأغلب بن سالم التّميمي (184هـ/ 800م): وهو آخر الولاّة استقلّ بإفريقيّة (المغرب الأدنى) بموافقة الخلافة العبّاسيّة وأصبحت السّلطة فيها وراثيّة في أبنائه من بعده حتّى انتهت على يد الفاطميين سنة 296هـ/ 909م.

---

[1])– ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 1، ص. 85؛ النّويري، نهاية الأرب، ج. 24، ص. 90.

[2])– الرّقيق القيرواني، ص. 172.

[3])– النّويري، نهاية الأرب، ج. 24، ص. 90.

[4])– ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 1، ص. 86– 88؛ ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، ص. 730.

[5])– عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص ص. 157– 158.

[6])– الرّقيق القيرواني، ص. 203؛ ابن الآبّار، ج. 1، ص ص. 88– 89.

[7])– الرّقيق القيرواني، ص. 203؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 1، ص. 89؛ النّويري، نهاية الأرب، ج. 24، ص. 96؛ حسن حسني عبد الوهّاب، خلاصة تاريخ تونس، دون تاريخ، ص. 74.

[8])– عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص. 159.

2/- خصائص ومميّزات عصر الولاّة في بلاد المغرب:

اتّسم عصر الولاّة في بلاد المغرب بجملة من الخصائص والميزات نذكر منها:

- قصر مدّة عصر الولاّة عامة في بلاد المغرب إذ لم يتجاوز التّسعين عاما كحدّ أقصى، وقد اختلفت مدّته من قطر إلى آخر حسب انفصال واستقلال كلّ قطر من أقطار بلاد المغرب كما ذكرنا سابقا.

- كثرة عدد الولاّة الّذين تعاقبوا على حكم بلاد المغرب والّذين زاد عددهم عن العشرين واليّا واختلاف مدّة حكم كل واحد منهم، وهذا يدلّ على حالة الفوضى وقلّة الاستقرار في الجهاز الإداري داخل بلاد المغرب.

- تدهور واضطراب الأوضاع في بلاد المغرب خلال هذه المرحلة وتوالي المشاكل والمحن منذ عام: 100هـ/ 718م فصاعدا لضعف بعض الولاّة وتسلّط البعض منهم كيزيد بن أبي مسلم الثّقفي وعبيد الله بن الحبحاب السّلولي، وعجزهم عن حلّ المشاكل بالمنطق والعمل الإداري ولجوئهم إلى استخدام القوّة ممّا أضعف الدّولة ووتّر العلاقة بينها وبين رعاياها في الأقاليم.

- تعرّض المغاربة مثل غيرهم من الموالي في الدّولة الإسلاميّة للتّهميش والإبعاد في تسيير أمورهم واضطهادهم من قبل بعض الولاّة الأمويين ثمّ العبّاسيين رغم ما قدّموه من خدمات جليلة للدّعوة الإسلاميّة والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى، ممّا دفعهم لشقّ عصا الطّاعة وقطع الولاء للأمويّين ثمّ العبّاسيين وإعلان نار الثّورات ضدّهم من أجل الاستقلال عن الخلافة في المشرق الإسلامي.

- تفشّي الرّوح العصبيّة والقبليّة بين العرب في بلاد المغرب وإحيائهم للنّعرات القبليّة القديمة بينهم وقيام ما يسمّى بالصّراع القيسي اليمني الّذي تعود جذوره إلى ما قبل الإسلام.

- انتشار أفكار الخوارج الصّفريّة والإباضيّة في بلاد المغرب ممّا ساهم في تغذية النّزعة الاستقلالية بين المغاربة وتحريضهم على الانفصال، وبالفعل أثمرت جهود هؤلاء في إشعال نار الثّورات ببلاد المغرب، وفي قطع صلة التبعيّة بين المشرق والمغرب وظهور دول إسلامية حملت أفكار المذهبين والرّيادة في هذا المضمار كانت لمذهب الخوارج الصّفريّة بتأسيس إمارة بورغواطة سنة 123هـ، ثمّ الدّولة المدراريّة سنة 140هـ.

المحاضرة الرّابعة:

الموضوع: انتشار الفكر الخارجي (الأباضية والصّفرية) بين المغاربة وقيام الثّورات في بلاد المغرب

1/- انتشار الفكر الخارجي (الإباضيّة والصّفريّة) بين المغاربة:

وصلت أفكار المذهب الخارجي (الإباضية والصفرية) إلى بلاد المغرب عبر عدّة قنوات، منها قناتين رئيسيتين هما:

أ/- عن طريق ما يسمى بالدّعاة:

وهم من أصل مشرقي جاؤوا إلى بلاد المغرب لنشر المذهب الخارجي، وأوّل هؤلاء الوافدين هما: "سلمه بن سعد" و"عكرمه مولى عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما" اللذين أرسلا من طرف أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة مولى بني تميم، وقد يكون قدومهما لعاملين: هما البطش الذي لقياه من الخلافة الأموية أو لنشر الفكر الخارجي، وكان الأول يدعو للمذهب الإباضي (سلمة بن سعد) والآخر للمذهب الصفري (عكرمة مولى عبد الله بن عباس)، وتذكر المصادر أنهما وفدا على متن راحلة واحده يتناوبان عنها وهذا ما يدل على تقارب أفكار المذهبين واعتدالهما بدليل أنهما نجحا في تأسيس دول تبنّت أفكار المذهبين[1].

ب/- عن طريق ما يسمى بحملة العلم إلى أفريقية:

وهم مجموعة من طلبة العلم أصلهم مغاربة بعث بهم سلمة بن سعد إلى المشرق للاستزادة من العلم، وبالضبط أرسلهم إلى البصرة والكوفة بالعراق لأنّهما كانتا رباطا للخوارج لاسيما الإباضية[2]، وكان عدد هؤلاء أربعة طلاّب وهم: "عبد الرّحمن بن رستم"، "عاصم بن جميل السّدراتي"، "إسماعيل بن درار الغدامسي"، "أبو داوود النغزاوي"، وقد التقى هؤلاء الأربعة بشخص يدعى أبا الخطاب عبد الأعلى بن السّمح المعافري وهو من أتباع أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة فصار هو خامسهم، فتشبّع هؤلاء بأفكار الخوارج الإباضية وعندما عادوا عملوا على

---

[1])- موسى لقبال، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 176؛ **حرّوز عبد الغني،** الخوارج نشأتهم وانتقالهم إلى بلاد المغرب الإسلامي، (المجلّة التّاريخية الجزائريّة- جامعة المسيلة (الجزائر)، العدد 6- 7، جانفي- ماي 2018م)، ص ص. 48- 49.

[2])- موسى لقبال، تاريخ المغرب الإسلامي، ص ص. 176- 177.

بثها بين المغاربة[1]، حيث اشتغل هؤلاء في الإفتاء والتدريس كما مارسوا السياسة بتأسيس النواة الأولى لدولتهم على المذهب الخارجي (الإباضي) بطرابلس بمبايعة "أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري" إماما عليهم لتنظيم الطائفة[2].

***لماذا تبنى المغاربة أفكار الخوارج؟**

هناك عدّة أسباب ودوافع كانت وراء تبني المغاربة لأفكار المذهب الخارجي أهمها:

- أن التيار الخارجي (الخوارج) كان يدعو إلى أفكار من الجانب النظري مقبولة جدا لدى الإنسان المغربي مثل فكرة الجهاد.

- أن للمغاربة والخوارج قاسم مشترك وهو ما تعرض له المغاربة من ظلم وتعسف الولاة الأمويين ثم العباسيين، وما تعرض له الخوارج في المشرق من اضطهاد الخلافة الأموية ثم العباسية فهاجروا إلى المناطق البعيدة عن أعينهم منها بلاد المغرب.

- التشابه مابين المغاربة والخوارج في المشرق من حيث الجانب الاجتماعي فكلاهما ذا طبيعة بدوية[3].

- اعتدال فرقتي الإباضية والصفرية في المذهب الخارجي وعدم تشددهما مما جعل المغاربة يتقبلون أفكارهم.

***النتائج التي ترتبت عن توغل أفكار الخوارج بين المغاربة:**

لقد ترتب عن توغل الفكر الخارجي إلى بلاد المغرب نتائج عديدة وهامه جدا منها ما هو ايجابي ومنها ما هو سلبي نذكر منها باختصار:

– أن تغلغل الفكر الخارجي أنجب ثورة فكرية أنتجت أدبا وعلما وفقها وطورت العقيدة والمذهب السياسي وأغنت الحضارة الإسلامية بعناصر مفيدة[4].

---

[1])–موسى لقبال، نفس المرجع، ص. 191؛ **محمود إسماعيل عبد الرّزاق**، الخوارج في بلاد المغرب حتّى منتصف القرن الرّابع الهجري، دار الثّقافة– الدّار البيضاء (المغرب الأقصى)، ط. 2، 1985م، ص. 55– 57.

[2])– موسى لقبال، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 192.

[3])– حرّوز عبد الغني، الخوارج نشأتهم وانتقالهم إلى بلاد المغرب الإسلامي، ص. 48.

[4])– موسى لقبال، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 177.

– أن تغلغل الفكر الخارجي قد أدى إلى انفعال غير العرب بالإسلام وتفهم أصوله ومناقشة مبادئه وقواعده[1].

– إن توغل الفكر الخارجي في بلاد المغرب كان في البداية سلميا لكن عدم قدره الأمويين ثمّ العباسيين على معالجه الموقف ومجابهتهم له بالقوة زاد المشكلة حدّة وانقسام المجتمع الإسلامي إلى طوائف (بربر وعرب)[2].

– قيام الثّورات والتّمردات من قبل أتباع النّحلتين الإباضيّة والصّفريّة ضدّ الولاة داخل بلاد المغرب بسبب الظّلم والتّعسّف[3].

– أن توغل الفكر الخارجي قد أسهم في انفصال المغرب عن المشرق بتأسيس دول إسلامية جديدة، كإمارة بورغواطة (في أقصى غرب المغرب الأقصى) ودوله بني مدرار (جنوب المغرب الأقصى) والدولة الرستمية في المغرب الأوسط (الجزائر).

2/– قيام الثّورات في بلاد المغرب:

أ/– ثورات الطائفة الصفرية (الخوارج الصفرية)

تمهيد:

نتيجة للتّهميش والاضطهاد الّذي تعرّض له المغاربة على يد الولاّة، وانتشار أفكار الخوارج بينهم، قام هؤلاء بمجموعة من الثّورات لرفع الغبن عنهم والانفصال عن الخلافة الإسلاميّة في المشرق، ولم تكن هذه الثّورات ضدّ الإسلام وإنّما لسوء المعاملة الّتي لقيها المغاربة من الولاّة[4]، وقبل الحديث عن الثّورات الّتي قام بها أتباع الطائفة الصّفريّة في بلاد المغرب وجب علينا أن نعرّف بهذه الطّائفة من الخوارج.

– التّعريف بالطّائفة الصّفريّة:

---

[1])– موسى لقبال، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 178.

[2])– موسى لقبال، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 177.

[3])– موسى لقبال، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 178.

[4])– **إبراهيم بوطالب وآخرون**، تاريخ المغرب، تعريب: محمّد الغرايب وآخرون، مطابع الرّباط نت– الرّباط (المغرب الأقصى)، ط. 1، 2018م، ص ص. 78– 79.

الصّفريّة هم طائفة من الخوارج اختلفت الرّوايات حول نسبهم، فهناك من نسبهم إلى عبيد الله بن الصّفار حين خالف نافعا بن الأزرق حول مسألة القعدة عن القتال سنة 65هـ/ 684م[1]، وهناك من نسبهم إلى شخص يدعى زياد بن الأصفر[2]، وروايات ترجع تسميّتهم بالصّفريّة لصفرة وجوههم من كثرة العبادة[3]، ورأي آخر ينسبهم إلى المهلّب بن أبي صفرة[4]، والرّأي الأرجح حسب الكثير من الباحثين في هذا الموضوع يرجحون نسبهم لزياد بن الأصفر[5].

1/- ثورة ميسرة المدغري (المطغري) :

اندلعت هذه الثّورة في عهد الوالي **عبيد الله بن الحبحاب** سنه 121هـ/739م بزعامة"**ميسرة المدغري**" (المعروف بالحقير أو السّقاء)، حيث وثب على عامل طنجة"عمر بن عبد الله المرادي" فقتله، ثم سار إلى السوس فوثب على "**إسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب**" فقتله، وهنا سير لهم والي المغرب جيشا بقياده "**خالد بن حبيب بن أبي عبده**"، والتقى الجيشان بالغرب من طنجة واقتتلا فتراجع ميسره فثار عليه البربر وقتلوه وولوا مكانه زعيما جديدا يدعى "خالد بن حميد الزناتي"، والتقى الجيشان من جديد في معركة حامية الوطيس سمّيت بغزوه

---

[1])- **البلاذري: أحمد بن يحي بن جابر**، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكّار، رياض زركلي، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع- بيروت، ط. 1، 1996م، ج. 7، ص. 146؛ **يوليوس فلهاوزن**، أحزاب المعارضة السّياسيّة والدّينيّةفي صدر الإسلام (الخوارج والشّيعة)، ترجمة: عبد الرّحمن بدوي، مكتبة النّهضة المصريّة- القاهرة، 1958م، ص. 72؛ محمود إسماعيل عبد الرّزاق، الخوارج في بلاد المغرب، ص.

[2])- **البغدادي: أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمّد**، الفرق بين الفِرَقْ وبيان الفرقة النّاجية منهم عقائد الفرق الإسلاميّة وآراء كبار أعلامها، دراسة وتحقيق: محمّد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا للنّشر والتّوزيع والتّصدير- القاهرة، دون تاريخ، ص. 84.

[3])- البلاذري، أنساب الأشراف، ج. 7، ص. 146.

[4])- **ابن تغري بردي الأتابكي: جمال الدّين أبي المحاسن يوسف**، النّجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دون محقق، مطبعة دار الكتب المصريّة- القاهرة، ط. 1، 1929م، ج. 1، ص. 289.

[5])- **أحمد بن يحي**، الخوارج طليعة التّفكير في الإسلام رسالة الرّد على مسائل الأباضيّة، تحقيق: إمام حنفي سيّد عبد الله، دار الآفاق العربيّة- القاهرة، ط. 2، 2023م، ص. 43. **عبد المعين الشّواف**، الخوارج من النّهروان إلى خراسان، دار الشّواف للنّشر والتّوزيع- العربيّة السّعوديّة، دون تاريخ، ص. 46.

الأشراف سنة 122هـ/ 740م انهزم فيها جيش الخلافة وقتل قائده "خالد بن حبيب بن أبي عبدة" فعمت الفوضى وانتشر الذّعر في نفوس العرب وانتقلت نار هذه الثورة إلى الأندلس.

ولما بلغ خبر الهزيمة إلى الخليفة"هشام بن عبد الملك" قام بعزل "عبيد الله بن الحبحاب" سنة 123هـ/ 740م[1] وأرسل لهم جيشا قوامه 30 ألف رجل بقيادة "كلثوم بن عياض القشيري" وابن أخيه "بلج بن بشر بن عياض القشيري" والتقى هذا الجيش بجيش البربر بقياده "خالد بن حميد الزناتي" عند وادي شبر (بليدة بقدوره) سنه 124هـ/742م، وانتهت المعركة بانهزام جيش الخلافة (العرب) ومقتل قائده كلثوم بن عياض وفرّ بلج بن بشر ومن معه إلى سبته (10 آلاف رجل) وتم حصارهم هناك حصارا شديدا حتى عبروا إلى الأندلس[2]، وقد كان لهذه الواقعة عواقب وخيمة على المسلمين في المشرق والمغرب، شجعت كل النّفوس المترددة في إفريقية على انتحال المذهب الصفري وتأييد الثّورة واحتلال قاعدة القيروان من طرف أتباع الطّائفة الصفرية.

ثانيا/ ثوره عكاشة بن أيوب الفزاري وعبد الواحد بن يزيد الهواري:

في سنه 124هـ/742م عين الخليفة "هشام بن عبد الملك (105- 125هـ/ ""حنظله بن صفوان" واليا على إفريقية وكلفه بمهمّة القضاء على الخوارج فالتقى بجيشين من الصّفرية يقودهما كلا من "عكاشه بن أيوب الفزاري" و"عبد الواحد بن يزيد الهواري"، اللّذين حاولا الزحف على مدينة القيروان فهزم الأوّل بين قابس والقيروان وقتل عامّة أصحابه[3]، وهزم الثّاني في منطقة الزّاب وقتل أيضا معظم أصحابه[4]، وهنا انهزم الصّفريّة وتشتّت شملهم (قتل في

---

[1])- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج. 1، ص ص. 293- 294؛ عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص ص. 82- 83.

[2])- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج. 1، ص. 294- 296؛ مؤلّف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، ص. 36- 40.

[3])- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج. 1، ص. 298؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 1، ص ص. 58- 59؛ فاطمة عبد القادر رضوان، المغرب في عهد الولاّة الأمويين، ص. 132- 134؛

[4])- الرّقيق القيرواني، تاريخ إفريقيّة والمغرب، ص. 69- 81؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج. 1، ص ص. 298- 299؛ فاطمة عبد القادر رضوان، المغرب في عهد الولاّة الأمويين، ص. 138.

المعركة حوالي 180 ألف رجل) وسمّيت الواقعة بواقعة الأصنام[1]، فالتجأ بعض قادة الصفرية إلى قبيلة بورغواطة مثل "طريف بن مالك" و"مغرور بن طالوت" وفريقا آخر منهم لجأ إلى الصّحراء وعمل هناك على نشر المذهب الصفري.

ثالثا/ ثورة عاصم بن جميل وعبد الملك بن أبي الجعد اليفريني:

تمكن "عاصم بن جميل الورفوجي السدراتي" من السّيطرة على القيروان وطرد عاملها "حبيب بن عبد الرحمن الفهري"، والذي قتل على يد "عبد الملك بن أبي الجعد" سنة 140هـ/757م، وبهذا أنهى حكم الأسرة الفهريّة بإفريقيّة[2].

دخل الصّفرية إلى المدينة (القيروان) بقياده "عبد الملك بن أبي الجعد" وارتكبوا فيها أبشع الجرائم والانتهاكات وفعل المنكرات فضجر الناس منهم[3]، وقد سمع "أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري" بهذا فزحف على "ورفجومة" في القيروان فشردها وقتل "عبد الملك بن أبي الجعد" وعيّن على مدينة القيروان حاكما جديدا وهو "عبد الرحمن بن رستم"[4]، ومن هنا اتّجه الصّفرية إلى جنوب المغرب الأقصى إلى منطقه سجلماسة (تافيلالت) وأسّسوا بها كيانا سياسيّا جديدا لهم سنة 140هـ/757م **(دولة بني مدرار أو بني واسول).**

ب/- ثورات الطّائفة الإباضيّة (الخوارج الإباضيّة):

تمهيد:

ينتسب الأباضيون إلى أحد فقهاء المذهب يدعى "عبد الله بن إباض التميمي"[5]، ويعود ظهور هذه الفرقة من الخوارج إلى بداية النصف الثاني من القرن الأول الهجري، ومن أبرز أئمة هذا المذهب التابعي الجليل جابر بن زيد الأزدي (أصله من عمان عاش 22 هـ- 93 هـ)

---

[1])- الرّقيق القيرواني، تاريخ إفريقيّة والمغرب، ص. 82؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج. 1، ص. 299.

[2])- ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 1، ص. 70؛ فاطمة عبد القادر رضوان، المغرب في عهد الولاّة الأمويين، ص ص. 156- 157.

[3])- ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 1، ص. 70

[4])- ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 1، ص. 70.

[5])- أحمد بن يحي، الخوارج طليعة التّفكير في الإسلام، ص. 57؛ عبد المعين الشّواف، الخوارج من النّهروان إلى خراسان، ص. 59.

المكنى **بأبي الشعشاء،** صاحب الفضل في إشعاع وانتشار المذهب الاباضي، حيث تتلمذ على يده كبار فقهاء وعلماء المذهب منهم أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة (عاش في البصرة) الذي أرسل بدعاة المذهب إلى بلاد المغرب ومنهم كما ذكرنا سلمة بن سعد[1].

وقد اتسم نشاط الحركة الأباضية ببلاد المغرب في البداية بالطابع السّلمي في نشر مذهبهم ولم يخرجوا عن ذلك إلى استعمال العنف والثورة إلاّ في ثلاثينيات القرن الثّاني للهجرة/ القرن الثّامن للميلاد حين بدأ عمّال (ولاة) بني أميّة في مضايقتهم ومطاردتهم[2]، ومن أهم ثوراتهم:

- ثورة الحارث بن تليد:

قامت بسبب عدم رضا الاباضية على سياسة **عبد الرحمن بن حبيب الفهري** بعد مقتل أحد دعاتهم (الاباضية) يدعى **عبد الله بن مسعود التجيني** من طرف أخيه وعامله على المغرب الأدنى (تونس) **الياس بن حبيب،** فثار الاباضية بزعامة إمامهم **الحارث بن تليد** وهزموا عامل عبد الرحمن بن حبيب في طرابلس وسجنه ثم طرده، وقتلوا الكثير من أهل طرابلس مما دفع عبد الرحمن بن حبيب إلى تسيير جيش نحوهم بطرابلس فتمكن من هزيمة الاباضية بزعامة الحارث بن تليد[3].

- ثورة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري:

بويع أبو الخطاب بالإمامة من طرف الطّائفة الإباضيّة سنة 140هـ/ 757م، وجعل من طرابلس مقرا له، ونظرا لما قامت به الطائفة الصفرية بالقيروان، رأى الاباضية ضرورة الوقوف في وجههم فتوجه إليهم أبو الخطاب وتمكن منهم والدخول إلى القيروان وتخليصها من قبيلة "ورفجومة" البربرية (ثورة عاصم بن جميل و عبد الملك بن أبي الجعد اليفريني) وعين

---

[1])- لتفاصيل أكثر حوله أُنظر: موسى لقبال، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 190؛ عبد المعين الشّواف، الخوارج من النّهروان إلى خراسان، ص. 75- 81.

[2])- موسى لقبال، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 194.

[3])- الرّقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص. 75؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج. 1، ص ص. 301- 302؛ محمود إسماعيل عبد الرّزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتّى منتصف القرن الرّابع الهجري، ص. 83.

عليها خلفا له **عبد الرحمن بن رستم** وعاد إلى طرابلس[1]، وفي سنة 144هـ/ 761م جهّز الخليفة أبو جعفر المنصور جيشا قوامه 50 ألف جندي تحت إمرة والي مصر محمّد بن الأشعث للقضاء على الخوارج ببلاد المغرب فالتقى بأبي الخطّاب وجيشه بالقرب من مدينة سرت في معركة حاميّة الوطيس (معركة تاورغا) انتهت بهزيمة الخوارج الإباضيّة ومقتل قائدهم أبو الخطّاب عبد الأعلى بن السّمح المعافري[2].

- ثورة أبي هريرة الزّناتي:

بعد أن ظن ابن الأشعث أنّه قد قضى على الخوارج بمقتل أبي الخطّاب حتّى ظهر له ثائر جديد بالقيروان يدعى أبا هريرة الزّناتي يقود جيشا قوامه 16 ألف مقاتل من الخوارج، فقاتلهم محمّد بن الأشعث وتمكّن من هزيمتهم ودخل القيروان، وما كاد يستقر حتّى نهض نحوه الخوارج بجيش قوامه 20 ألفا من الثّوار بقيادة هاشم بن الشاحج وقد تمكّنوا من إلحاق الهزيمة بجيش ابن الأشعث ثمّ تفرّقوا في البلاد ممّا سهل على الجيوش العربيّة مهمّة القضاء عليهم، وما كاد ابن الأشعث يستريح حتّى ثار عليه الخوارج من جديد بقيادة عيسى بن عجلان الخرساني فشنّوا عليه حربا أعجزته عن المقاومة ودفعته للخروج من المغرب والعودة إلى ولايته بمصر سنة 148هـ/ 765م[3].

- ثورة أبي حاتم الملزوري (يعقوب بن حبيب المغيلي):

---

[1]- **الشّماخي: أحمد بن سعيد بن عبد الواحد،** كتاب السّير، تحقيق: أحمد بن سعود الشّيابي، وزارة التّراث القومي والثّقافة- سلطنة عمان، ط. 2، 1992م، ج. 1، ص. 113- 118.

[2]- الشّماخي، كتاب السّير، ج. 1، ص. 118- 120؛ عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص. 88؛ **محمّد عيسى الحريري،** الدّولة الرّستميّة بالمغرب الإسلامي- حضارتها وعلاقتها الخارجيّة بالمغرب والأندلس (160-296هـ)، دار القلم للنّشر والتّوزيع- الكويت، ط. 3، 1987م، ص. 67- 71.

[3]- ابن عذاري المرّاكشي، البيان المغرب، ج. 1، ص. 72؛ شهبي عبد العزيز، تاريخ المغرب الإسلامي، ص ص. 30- 31.

بعد أن قتل أبو الخطاب اجتمعت كلمة الاباضية على مبايعة "**أبي حاتم الملزوري**" خلفا له[1]، وقد حاول الخوارج (الاباضية والصفرية) التّكتّل في مواجهة الولاّة العبّاسيّين في افريقيّة، تمكن الخوارج من هزيمة عامل طرابلس وطرده إلى قابس وحصاره فيها.

تمكن الخوارج من حصار والي افريقية بمدينة القيروان عمرو بن حفص وقتله فيها سنة 154هـ/ 771م[2].

سيرت الخلافة العباسية جيشا بقيادة **يزيد بن حاتم** لمواجهة الاباضية بزعامة أبي حاتم الملوزي، وقد تمكن يزيد بن حاتم من هزيمة الاباضية وقتل زعيمهم (أبو حاتم الملزوري) في منطقة جندوبة[3].، وتفريق شمل الخوارج الإباضيّة وفرّ بقاياهم إلى المغرب الأوسط وبالضبط إلى تهرت حيث يوجد لهم أنصارا من قبيلة لمّاية فبايعوا عبد الرحمن بن رستم بالإمامة، ومن هنا تمكّن الاباضية من تأسيس كيان سياسي جديد لهم تجلى في الدولة الرستمية سنة 160هـ/ 779م[4].

وخلاصة القول أنّ الخوارج رغم فشلهم العسكري في التّغلب على جيوش الخلافة سواء الأمويّة أو العبّاسيّة فإنّهم قد استطاعوا وتمكّنوا من تحقيق انتصار سياسي تجلّى في تأسيس كيانات سياسيّة ببلاد المغرب تحمل أفكار المذهب سواء الصّفريّة أو الأباضيّة وهذا ما عجزوا عن تحقيقه في أي مكان آخر من العالم الإسلامي.

---

[1]- الشّماخي، كتاب السّير، ج. 1، ص. 121.

[2]- ابن عذاري المرّاكشي، البيان المغرب، ج. 1، ص. 75- 78

[3]- الشّماخي، كتاب السّير، ج. 1، ص. 122- 123.

[4]- محمّد عيسى الحريري، الدّولة الرّستميّة بالمغرب الإسلامي، ص. 82- 91.

المحاضرة الخامسة:

الموضوع: الإمارات الصفرية في بلاد المغرب

(إمارتا بوروغواطة وبني مدرار).

تمهيد:

بعد الضّربات الموجعة الّتي تلقّاها البربر على يد جيوش الخلافة في المغرب، اتّجه بعض زعماء الطّائفة الصّفرية من البربر إلى المناطق النّائية بالمغربين الأقصى والأوسط اللذين أظلّهما فراغ سياسي مما أعطاهم الفرصة لإقامة دول مستقلة بهما، فقد خرج أحد قادة"ميسرة المطغري" وانتزى بعيدا في منطقه "تامسنا" بأقصى غرب المغرب الأقصى وأقام بها إمارة بورغواطة عام 123هـ/739م، كما تمكّنت طائفة أخرى من الصّفرية من إقامة دولة لهم في جنوب المغرب الأقصى عام 140هـ/758م واتخذوا من مدينه **سجلماسة** عاصمة لهم وهي دولة بني مدرار (بنو واسول).

1/- إمارة بورغواطة (123هـ – منتصف القرن 6هـ/ 739م – منتصف القرن 12م):

إن تاريخ إمارة بورغواطة الّتي قامت في إقليم "**تامسنا**" بأقصى غرب المغرب الأقصى يشوبه الغموض الشّديد رغم أنّها أوّل إمارة مستقلّة في تاريخ المغرب الإسلامي وأطول الإمارات عمرا وأكثرها استهدافا لعداء جيرانها لها، فقد عمّرت أكثر من أربعة قرون، وعملت كافّة الدّول الّتي قامت في بلاد المغرب على القضاء عليها ولم يتأتَّ ذلك إلاّ في عهد الموحدين مع منتصف القرن 12م/6هـ، ويرجع الغموض في تاريخها إلى:

- عدم وجود كتابات عن تاريخها.

– اهتمام أغلب المؤرخين المسلمين الذين عاشوا في العصور الوسطى بالتّأريخ للسّلطة الشّرعية للعالم الإسلامي (الخلافة) وما يدور في فلكها أو يقع معها في صراع.

– انزواء هذه الإمارة في أقصى غرب المغرب الأقصى في مكان بعيد، ولم يكن بينها وبين الخلافة صراع لأنّ سلطان الخلافة قد تقلّص على المغربين الأقصى والأوسط.

ويعدّ "ابن حوقل" الذي عاش خلال القرن الرّابع الهجري/ العاشر الميلادي أوّل من أمدّنا بمعلومات حول هذه الإمارة، فحدثنا عن طبيعة البلاد ومواردها وعقائد أهلها وتاريخها، ثم يأتي الدّور على "**البكري**" (المتوفَى 487هـ/1094م) الّذي أمدّنا بمعلومات هامّة حول عقائد أهل الإمارة وتاريخها منذ قيامها على مدار ثلاثة قرون بعد ذلك[1].

***تأسيس الإمارة:**

ارتبط قيام إمارة بورغواطة بانتشار مذهب الخوارج الصّفرية في بلاد المغرب الأقصى، وبثورة "ميسرة المطغري" على ولاّة الخلافة الأموية ويعود الفضل في تأسيس هذه الإمارة إلى أحد قوّاد ميسرة يدعى "طريف بن ملوك (مالك)" وابنه **صالح**، فقد كان لطريف مكانه في النّفوس لسابقته في الجهاد منذ أن قاد أوّل حملة استطلاعيّة على الأندلس، فولاّه بربر المنطقة (تامسنا) (قبيلة بورغواطه) أمرهم وخضع لسلطانه أهل تامسنا ومن هم في نواحيها من البربر الّذين هم على المذهب الصّفري الّذي ظل مذهبا لأهل الإمارة حتى سقوطها في القرن 6هـ/ 12م على يد الموحدين[2].

***أبرز أمراء هذه الإمارة:**

- طريف بن مالك (122هـ-123هـ) : هو مؤسس هذه الإمارة وأبو ملوكها، وهو من ولد شمعون بن يعقوب بن إسحاق عليهما السّلام، وكان له سابقة في الإسلام فالرّجل قاد أوّل حملة استكشافيّة للمسلمين نحو الأندلس عام 91هـ/ 710م، وهو من أصحاب وأتباع ميسرة المدغري الّذي قاد أوّل ثورة قام بها البربر في بلاد المغرب، ولمّا قتل ميسرة المدغري وتفرّق أصحابه انسحب طريف إلى إقليم تامسنا وهناك أسّس إمارته وتمّت مبايعته من قبل أهله، لكنّ العمر لم يطل به في الإمارة إذ توفي بعد عام واحد من تأسيسها[3].

---

[1])- عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس ، ص. 138.

[2])- البكري، المسالك والممالك، ج. 2، ص. 819- 822.

[3])- البكري، المسالك والممالك، ج. 2، ص. 819.

- **صالح بن طريف (123هـ-128هـ):** تولى الأمر بعد وفاة والده وقد عمل على تعليم رعاياه أصول المذهب الصفري وأحكامه ونشره بين من لم يعتنقوه في كتمان وسرّيّة لأن الخلافة الأموية كانت لتزال تقاتل من أجل إعادة سلطانها على المغرب[1].

- **إلياس بن صالح (128هـ-178هـ/745م-749م):** واصل نشر المذهب الصفري بين جيرانه من القبائل في سريه وكتمان ونجح في ضم بطون زناته الضاربة في المغرب الأقصى، وهلك بعد أن قضى خمسين عاما من الحكم[2].

- **يونس بن الياس (178هـ-220هـ/794م-835م):**تميز عهده بالقسوة والعنف، فمع كثره أتباعه وعدم اقتناعه بسيادة المذهب داخل إمارته، عمل على فرض مذهبه على القبائل المجاورة له في عنف وقسوة فدانت له عديد القبائل بالطاعة، فاتسع ملكه وعظم سلطانه لذلك يعتبر هذا الأخير المؤسس الحقيقي لإمارة بورغواطة خاض معارك طاحنه ضد الأدارسة انتهت بمقتله سنه 220هـ/835م[3].

- **أبو عفير (قرني سنه 300هـ/912م):**أعاد إحياء إمارة بورغواطة بعد أن سيطر عليها الأدارسة في عهد الأمير إدريس الثاني(177- 213هـ/ 793- 828م)، وهو من أبناء عمومه يونس وقد دام حكمه حوالي تسع وعشرين سنة[4].

- **عبد الله أبو الأنصاري بن أبي عفير (300هـ-341هـ/ 912م-952م):**عرف بشهامته وحسن أخلاقه، كان سخيّا ظريفا صادق الوعد يفي بالعهد ويحفظ الجيرة، عاش في هدوء واستقرار جناهما كثمار لما غرسه والده من رهبة في نفوس القبائل المجاورة، دام حكمه ما يقارب الإثنين والأربعين عاما[5].

---

[1]- البكري، المسالك والممالك، ج. 2، ص ص. 819- 820.

[2]- البكري، المسالك والممالك، ج, 2، ص. 820.

[3]- البكري، المسالك والممالك، ج. 2، ص ص. 820- 821.

[4]- البكري، المسالك والممالك، ج. 2، ص. 821.

[5]- البكري، المسالك والممالك، ج. 2، ص ص. 821- 822.

- **أبو منصور عيسى بن عبد الله أبو الأنصار:** سار على نهج آبائه ودان بديانتهم واشتدت شوكته وعظم سلطانه، تميز عهده بالهدوء والسكينة كما عمل على خطب ودّ من حوله من الأمراء والملوك، أرسل سفيره إلى الأندلس سنه 352هـ/963م لكسب ودّ حكّامها كما أوصاه والده[1].

***العلاقات الخارجيّة لإمارة بورغواطة مع الدّول والكيانات السّياسيّة التي عاصرتها:**

تميزت علاقاتها الخارجيّة بالتّوتّر والصّراع الدّائم والمستمر في أغلب الأحيان وهذا لاختلاف وتضارب المصالح بالإضافة إلى الاختلاف المذهبي والعقدي مع من جاورها، فقد عمل الأدارسة على غزوها خلال عهد الأمير إدريس الثاني[2].

كما تعرضت الإمارة أيضا للغزو من قبل بلكين بن زيري نائب الخليفة الفاطمي في حكم إفريقية والمغرب في حملته على المغرب الأقصى عام 369هـ/979م، حيث استمر في محاربة بورغواطة لمده سنتين خاض خلالهما معارك عدّة تمكّن من خلالها من قتل أميرهم "**صالح بن أبي منصور عيسى**" إلى جانب خلق كثير من أتباعه كما أسر عددا كبيرا من النساء والأطفال، وانتهت حملته سنه 373هـ/983م قبل أن يحقق هدفه في القضاء على هذه الإمارة[3].

تعرضت الإمارة أيضا للغزو من قبل الأمويين في الأندلس خلال عهد المنصور محمد بن أبي عامر (369- 392هـ) الّذي أرسل جيشا بقيادة ابنه عبد الملك المظفّر لاسترداد المغرب الأقصى لتقوم جيوشه بغزو أراضي بورغواطه لمرّات عدّة يقتلون فيها ويأسرون[4].

تعرضت بورغواطة لغزو **الزناتيين** خاصة قبيلة **بني يفرن** (في سلا) خلال النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي (420 هـ - 448 هـ / 1029م - 1056م) خاصة في عهد "أبي الكمال تميم اليفريني"[5].

---

[1]- البكري، المسالك والممالك، ج. 2، ص. 822.

[2]- عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص ص. 142- 143.

[3]- عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص. 143.

[4]- عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص. 143.

[5]- عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص ص. 143- 144.

تعرضت للغزو من قبل المرابطين منذ عهد "عبد الله بن ياسين" الذي قتل في إحدى المعارك الضروس التي دارت معها سنه 451 هـ/ 1059 م لكن دون القضاء عليها[1].

ليأتي الدّور على **الموحدين** الذين استطاعوا أن يقضوا عليه في منتصف القرن السّادس الهجري/ القن الثّاني عشر الميلادي، وأن يخرجوها من مضاربها وتعويضها بقبائل عربيه جلبوها من إفريقية[2].

2/- دولة بني مدرار (140هـ-366هـ/757م-977م):

تمهيد:

تعدّ دولة بني مدرار ثاني إمارة بالمغرب الأقصى تأسّست على **المذهب الصّفري الخارجي**، حيث قامت في أقصى جنوب المغرب الأقصى بإقليم تافيلالت (سجلماسة) على مشارف الصّحراء المحاذية لبلاد السّودان الغربي[3] حيث توجد مضارب قبيلة مكناسة البربريّة ذات المذهب الصّفري الخارجي، وتعود خلفيات نشأتها إلى الأحداث الّتي عرفتها بلاد المغرب الإسلامي ونقصد بها ثورات الخوارج الصفرية والأباضية.

*** عوامل اختيار إقليم تافيلالت لتأسيس هذه الدولة:**

- نأي المنطقة وبعدها عن متناول جيوش الخلافة العبّاسية خاصّة أنّ المنطقة صحراوية.
- وجود قبيلة مكناسة ذات المذهب الصفري في هذا الإقليم .

---

[1])- **مزردي فاتح**، الدّولة المرابطيّة "إرهاصات التّأسيس، والعلاقات السّياسيّة مع المشرق والغرب الإسلامي" (448- 541هـ/ 1056- 1147م)، دار أجيال الرّقمي- الجزائر العاصمة، دون تاريخ، ص. 36.

[2])- عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص. 145.

[3])- **أبو الفداء: عماد الدّين إسماعيل بن محمّد بن عمر**، تقويم البلدان، تحقيق: رينود، ماك كوكين ديسلان، دار الطّباعة السّلطانيّة- باريس، 1830م، ص. 137؛ **محمّد بن عبد المنعم**، الرّوض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عبّاس، مكتبة لبنان- بيروت، 1984م، ص.305.

– المنطقة عبارة عن بوابة أو منفذ لبلاد السّودان الغربي ومنطقة عبور بين الشمال (المغرب الأقصى) والجنوب (السودان الغربي) ، وبالتّالي كانت له أهمّية اقتصادية[1].

***نشأة الدولة:**

كان"أبو القاسم سمكو بن واسول" زعيما لقبيلة مكناسة وأحد حملة علم المذهب الصّفري، وقد ساهم مع إخوانه في ثورة الخوارج الصّفرية بالمغرب الأقصى، وبعد مقتل ميسرة المطغري زعيم هذه الثورة، نأى "أبو القاسم سمكو" بمن تبعه إلى إقليم تافيلالت واشتغل هناك مع من تبعه من قومه بالرعي واختلط بالقبائل الضاربة في تلك المنطقة، وعمل على نشر المذهب الصفري فيما بينها(كان هناك الزّنوج من السّودان الغربي) ، ولما رأى كثرة أتباعه وتزايد أعدادهم (أربعة آلاف) واشتداد ساعدهم أعلن عن قيام دولته سنة 140هـ/757م[2]، وقد اختار لإمامتها "**عيسى بن يزيد الأسود**" ، إما رغبة منه في تطبيق مبدأ الخوارج أن تكون الإمامة لأي إنسان ولو كان عبدا حبشيا، أو لإرضاء الغالبية ممّن دانوا بالمذهب الصّفري في إقليم تافيلالت وكانوا من الزّنوج السّود فأراد إرضاءهم بأن يكون إمام الدّولة منهم.

وهناك من يرى أنه كان غريبا عن المنطقة وليس له قوّة عصبية تحميه والدّليل على ذلك سهولة خلعه وقتله دون أي ردة فعل على ذلك سنة 155 هـ/771م، ومن بعده ظلت رئاسة الدّولة وراثية في بيت أبي القاسم سمكو بن واسول.

***أبرز حكام (أمراء) هذه الدولة:**

– عيسى بن يزيد الأسود (140هـ–155هـ/ 757م–771م)

هو أوّل إمام لهذه الدّولة اجتمع حوله الصّفرية، دام حكمه خمسة عشر عاما حقّق فيها عدّة إنجازات، فقد أكمل بناء أسور سجلماسة عاصمة الدّولة، قسّم مياهها في الخلجان بقدر

---

[1])– **الشّريف الإدريسي**، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، دون تحقيق، مكتبة الثّقافة الدّينيّة– القاهرة، 2002م، مج. 1، ص. 105؛ **شنايت العيفة**، دولة بني مدرار بسجلماسة ودور تجارة القوافل في ازدهارها الحضاري بين القرنين الثّاني والرّابع الهجريين، (مذكّرة ماجستير منشورة)، معهد التّاريخ جامعة الجزائر (الجزائر)، 1990– 1991م، ص. 22.

[2])– ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج. 6، ص. 172؛ عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص. 145.

موزون وأكثر فيها من زراعة النّخيل[1] لكن المبايعة لم تدم طويلا إذ مباشرة بعد أن استقرت له الأمور انقلب عليه الصفرية وخلعوه بتهمة السرقة وقتلوه بطريقة بشعة[2].

- أبو القاسم سمكو بن واسول (155هـ168هـ/ 771- 784 م)

يعد المؤسس الحقيقي للدّولة، وقد انصب اهتمامه طيلة فترة حكمه على الشّؤون الدّاخليّة لدولته، هادن الولاّة العبّاسيين في افريقية رغم الاختلاف المذهبي بينهما،حتى قيل أنه خطب للمنصور والمهدي العباسيين على منابر عاصمته، توفي فجأة بعد مدّة حكم دامت أثنتا عشر سنة[3].

- إلياس بن أبي القاسم سمكو (168هـ – 174هـ / 748م – 790م)

لم يقدّم في عهده شيئا للإمارة، فطمعت فيه الأقلّيات خاصّة الأقلّية الإباضية التي عملت على السّيطرة على الدولة فانتفض عليه الصّفريّة وخلعوه واستبدلوه بأخيه اليسع سنة 174هـ[4].

- اليسع بن أبي القاسم سمكو (174 هـ – 208 هـ / 790 م – 823 م):

عُرِفَ بالمستنصر وكان جبّارا عنيدا فظّا غليظا[5]، يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة بني مدرار، تميّز عهده بالاستقرار و الازدهار في مختلف مناحي الحياة (الزراعة، التجارة، استخراج المعادن في درعة) حصّن عاصمة دولته، بنى القصور ...الخ، اضطهد معارضيه خاصة

---

[1])- البكري، المسالك والممالك، ج. 2، ص. 837.

[2])- البكري، المسالك والممالك، ج. 2، ص. 838.

[3])- ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج. 6، ص. 172؛ **وفاء يعقوب جبريل برناوي**، دولة بني مدرار الصّفريّة بالمغرب الأقصى الإسلامي دراسة تاريخية حضاريّة (140- 347هـ/ 757- 958م)، مذكّرة ماجستير منشورة، كلّيّة الشّريعة والدّراسات الإسلاميّة (جامعة أمّ القرى- المملكة العربيّة السّعوديّة)، 2003م، ص ص. 31- 32.

[4])- ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج. 6، ص. 172؛ وفاء يعقوب جبريل برناوي، دولة بني مدرار الصّفريّة، ص. 32.

[5])- البكري، المسالك والممالك، ج. 2، ص. 838؛ شنايت العيفة، دولة بني مدرار بسجلماسة، ص. 59.

الإباضية وأتباع المذهب السني لعدائه لدولة الأغالبة والعباسيين رغم عدم حدوث أي اصطدام عسكري بين الجانبين[1].

- مدرار (208 هـ – 253هـ / 833 م – 868م):

لم يكن على شاكلة والده من حيث الحزم والحنكة السّياسيّة، عرف عهده بعض الاضطرابات بسبب الصّراع بين ولديه (ميمون بن أروى الرستمية، وميمون بن بقية (بغية) المدراريّة) حول السّلطة حيث اشتعلت حرب بينهما دامت لمدّة ثلاث سنوات، وكان مدرار الأب يميل إلى ميمون بن أروى الرّستمية في هذا الصراع، بينما انحاز شيوخ المذهب الصّفري إلى ميمون بن بغية المدراريّة الذي انتصر على والده وأخيه وانتهى بعزلهما ونفيهما عن سجلماسة، واستمرّ الخلاف حتّى عُزل مدرار نهائيّا عن الحكم من قبل أهل سجلماسة سنة 253هـ/ 868م[2].

- ميمون بن بغية المدراريّة (253- 263هـ/ 868- 876م):

بعد عزل والده وأخاه انفرد بالحكم واقتفى آثار معارضيه ليعيد الاستقرار للدولة، لكنه توفي قبل أن تتحقق آماله[3].

- محمد بن ميمون (ابن بغية) (263 هـ- 270 هـ/ 876 م- 883 م):

لا نجد تفاصيل كثيرة حول عهده، فذكر ابن خلدون أنّه اعتنق مذهب الإباضيّة[4]، وسار على نهج والده في الاستبداد بالحكم واستئصال معارضيه من أنصار عمه ميمون بن أروى الرستمية، وقد تحقق له الهدوء والاستقرار[5].

- اليسع بن محمد (270 هـ -297 هـ / 883 م – 909 م)

---

[1]- ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج. 6، ص. 172؛ السيلاوي النّاصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ص. 181؛ وفاء يعقوب جبريل برناوي، دولة بني مدرار الصّفريّة، ص ص. 33- 34.

[2]- البكري، المسالك والممالك، ج. 2، ص ص. 838- 839؛ وفاء يعقوب جبريل برناوي، دولة بني مدرار الصّفريّة، ص ص. 34- 35.

[3]- السيلاوي النّاصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ص. 181.

[4]- ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج. 6، ص. 173؛ السيلاوي النّاصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ص. 181.

[5]- عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص. 149.

حاول التوسع على حساب جيرانه من الأدارسة والاباضية فأعدّ العدّة لذلك، لكن ظهور الدّعوة الشّيعيّة وقيام الخلافة الفاطميّة بالمغرب قضيا على آماله حيث تعرّض ملكه للغزو من قبل أبي عبد الله الشّعي، فقتل اليسع والكثير من أهل بيته عام 297 هـ / 909م، وتمّ إخضاع الصّفرية بسجلماسة لحكم الفاطميين وعيّنوا عليهم إبراهيم بن غالب الرّاسي، لكنّ الصّفرية لم يرضوا بحكم الفاطميين فثاروا على عاملهم وقتلوه (إبراهيم بن غالب الرّاسي) في العام الموالي (298هـ/ 910م) واختاروا من أسرة بني مدرار حاكما لهم هو الفتح بن ميمون واسول الملقّب بواسول (298- 300هـ/ 910- 912م) الّذي استمر في الحكم أقل من ثلاث سنين، وبعد وفاته خلفه أخاه أحمد بن ميمون لمدّة تسع سنين (300- 309هـ/ 912- 921م) وكانت نهايته على يد قائد الفاطميين مصالة بن حبّوس[1].

لكن هذا الأخير (مصالة بن حبّوس) رأى أن سياسة القمع لأهل سجلماسة لا تجدي نفع فاستبدلها بسياسة الدّهاء واللين فعيّن على رأسهم حاكما من بني مدرار وهو المعتز بن محمّد بن ساور المدراري الّذي حكم لمدّة حوالي أثنا عشر عاما (309- 321هـ/ 921- 933م) ثم وولّي من بعده ابنه محمّد بن المعتز الّذي مكث في الحكم لمدّة عشر سنوات (321- 331هـ/ 933- 943م) ثمّ هلك، فوولّي ابنه المنتصر سمكو لحوالي شهرين وهنا ثار عليه أحد الطّامعين في الحكم لأنّ المنتصر سمكو لا يزال طفلا فخلعه من الحكم، وخلع طاعة الفاطميين وأعاد لدولة أجداده استقلالها وتلّقب بأمير المؤمنين وعُرف بـ : الشاكر لله (وقد تميّز عهده بالاستقرار والرخاء والازدهار، وظل الشاكر لله بمأمن عن الفاطميين حتى عهد المعز لدين الله الفاطمي الذي أرسل قائده جوهر الصقلي وبلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي لإعادة المغرب الأقصى، فخرجا على رأس جيوش الفاطميين سنة 347 هـ/ 958 م فنجحا في استرداد سجلماسة وأسر الشاكر لله[2].

---

[1])- ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج. 6، ص. 173.

[2])- ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج. 6، ص. 174؛ السيلاوي النّاصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج. 1، ص. 182؛ وفاء يعقوب جبريل برناوي، دولة بني مدرار الصّفريّة، ص. 39- 42.

لكن أهل سجلماسة ثاروا من جديد ضد الوالي الجديد وتم قتله، واختاروا أحد أبناء الشاكر لله حاكما عليهم وقد تلقب **بالمنتصر لله** الذي هادن الفاطميين فثار عليه ابن أخيه وقتله سنة 352 هـ /963 م وتلقب **بالمعتز بالله** وخرج عن طاعة الفاطميين وأعاد للبلاد استقلالها لكنه قتل على يد الزناتيين الذي زحفوا عليه بزعامة خزرون بن فلفول المغراوي سنة 366هـ/ 977 م وأقاموا الدعوة على منابر سجلماسة للخلافة الأمويّة بقرطبة، وبهذا انتهى أمر دولة بني مدرار[1].

[1]- ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج. 6، ص. 174.

المحاضرة السّادسة:

الموضوع: الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط

(160- 296هـ/ 776- 909م).

- تأسيس الدّولة الرستمية:

الدولة الرستمية هي أوّل دولة تأسّست على المذهب الاباضي الخارجي ببلاد المغرب الأوسط اشتقّ اسمها من اسم مؤسّسها عبد الرحمن بن رستم الّذي كان نائبا لأبي الخطّاب عبد الأعلى بن السّمح المعافري على مدينة القيروان[1]، فبعد أن قتل أبو الخطاب على يد جيوش العبّاسيين بقيادة محمد بن الأشعث عام 144هـ/ 765م فرَّ عبد الرحمن بن رستم بأهله وذويه وأتباعه إلى المغرب الأوسط، هاربا من مطاردة ابن الأشعث له، فاختار أحد الأماكن المنيعة مستقرّا له في مواطن قبيلة لمّاية البربريّة الأباضيّة[2].

وبعد أن زال خطر العباسيين، نزل عبد الرّحمن بن رستم ومن معه من الأتباع إلى بلدة تهرت على سفح جبل غربي مدينة تيارت الحاليّة يدعى جبل سوفجج[3] وقد اختار هذا المكان لحصانته الطّبيعية ووفرة مياهه وكثرة خيراته، واتخذ منه مركزا له منذ عام 148هـ/ 765م فاشتدّ أمره وتزايد أتباعه وأنصاره فتمّت مبايعته بالإمامة عام 160هـ/ 776م فكان هذا الحدث يمثل إذانا بميلاد هذه الإمارة الأباضية الّتي دامت قرنا وثلاثا وثلاثين عاما[4].

- أبرز حكّام هذه الدّولة:

---

[1])- عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص. 152.

[2])- **الدّرجيني: أبو العبّاس أحمد بن سعيد**، طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق: طلاي إبراهيم، مطبعة البعث قسنطينة- الجزائر، دون تاريخ، ج. 1، ص. 34- 36؛ محمّد عيسى الحريري، الدّولة الرّستميّة بالمغرب الإسلامي، ص. 82- 91.

[3])- **بحّاز إبراهيم بكير**، الدّولة الرّستميّة دراسة في الأوضاع الاقتصاديّة والحياة الفكريّة (160- 296هـ/ 777- 909م)، نشر جمعيّة التّراث- القرارة (الجزائر)، ط. 2، 1993م، ص. 82.

[4])- **سليمان بن الشيخ عبد الله الباروني النّفوسي**، الأزهار الرّياضية في أئمّة وملوك الأباضيّة، دون دار نشر، دون تاريخ نشر، القسم الثّاني، ص ص. 3- 4؛ **بوركبة محمّد**، الجزائر الاجتماعية في عهد الدّولة الرّستمية (160- 296هـ/ 777- 999م)، دار الكفاية- الجزائر، دون تاريخ، ص. 65- 68.

توالى على حكم الدّولة الرستمية منذ نشأتها حتى سقوطها ثمانية حكّام أطلق على كل واحد منهم لقب الإمام، وقد كان نظام الحكم فيها قائما على الشّورى لكنّه انحصر في أسرة عبد الرحمن بن رستم مؤسس الإمارة ومن أبرز هؤلاء الأئمة نذكر:

- **عبد الرحمن بن رستم (160هـ-171هـ/776-787م):**

هو مؤسس هذه الدّولة وأوّل إمام لها، اشتهر بالعلم والعدل والإنصاف والشّورى وعدم الاستبداد، تميّز عهده بالرّخاء والازدهار ونمو الدّولة واتساع مواردها الاقتصاديّة، فقصدها الكثيرون من المشرق والمغرب والأندلس من علماء وأرباب حرف وصناع وتجار...الخ[1].

- **عبد الوهاب بن عبد الرحمان (171هـ-208هـ/787م-823م)**

كان فقيها عالما تم انتخابه عقب وفاة والده، عرف عهده بعض الاضطرابات منها:

ثورة أبي قدامة يزيد بن فندين اليفريني الزناتي الذي أنكر إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، فسمّيوا بالنكارية.

ثورة الزناتيين الذين انضموا إلى دولة الأدارسة بزعامة محمد بن خزر المغراوي الزناتي وخرج إليهم عبد الوهاب سنة 195هـ/811م لقتالهم.

ثورة الاباضية في جبل نفوسة بزعامة خلف بن السمح بن أبي الخطاب والتي استمرت حتى في عهد خلفه أفلح بن عبد الوهاب[2].

- **أفلح بن عبد الوهاب (208هـ-240هـ/823م-854م)**

تولّى الإمامة بعد وفاة والده عبد الوهاب بن عبد الرّحمن بن رستم، تميّز عهده بقيام بعض الاضطرابات مثل استمرار ثورة خلف بن السمح بن أبي الخطاب رغم وفاة الأخير.

---

[1])- **ابن الصّغير**، أخبار الأئمّة الرّستميين، تحقيق: محمّد ناصر، إبراهيم بحّاز بكير، دار الغرب الإسلامي- بيروت، دون تاريخ، ص. 31- 32، 35- 36؛ **لمى عبد اللّطيف عبد الله**، أثر التّجارة على العلاقات السّياسيّة بين دول المغرب الكبير في القرنين (2- 3هـ/ 8- 9م)، (مذكّرة ماجستير منشورة)، قسم التّاريخ- جامعة تشري (الجمهوريّة العربيّة السّوريّة)، 2016-2017م، ص ص. 47- 48.

[2])- ابن الصّغير، أخبار الأئمّة الرّستميين، ص. 37- 47؛ الشّماخي، كتاب السّير، ج. 1، ص. 130- 165.

قيـــام تمـــرّد أخـــر بقيـــادة ثائـــر آخـــر بجبـــل نفوســـة يدعـــى فـرج بـن نصـر المعـروف بنفـاث فأســفر عــن انشـقاق داخل المذهب الأباضـــي عرف أنصاره بالنّفاثية[1].

- **أبو بكر بن أفلح (240- 241هـ/ 854م):**

لم يكن في مستوى من سبقه بالإمامة في الدّولة الرّستميّة، ولم يجد الإباضيّة بديلا عنه في البيت الرّستمي، فأخوه الأكبر أبو اليقظان كان مقبوضا عليه في بغداد وأخاه الأصغر منه يعقوب بن أفلح كان صغيرا حديث السّن لا يصلح للإمامة، وقد رفض الكثيرون من الأباضيّة إمامته فقد كان ضعيفا ليس له من الشّدّة في دينه، كما كان سمحا جوادا حسب ما ورد عنه عند ابن الصّغير، لذلك مال إلى الخمول والرّاحة والكسل وانصرف إلى اللّهو وحياة التّرف تاركا شؤون الدّولة لصهره محمّد بن عرفة يتصرّف فيها كما يشاء، وبمقتل هذا الأخير عمّت الفوضى والاضطرابات وسط البلاد فاعتزل أبو بكر الإمامة سنة 241هـ/ 854م وتمّت مبايعة أخيه أبو اليقظان بعد إطلاق سراحه وعودته من بغداد، وأتته الأباضيّة من كلّ الأقطار لمبايعته[2].

- **أبو اليقظان بن أفلح (241- 281هـ/ 854م- 894م):**

تولّى الأمر بعد أن تنازل أخوه أبا بكر عن الإمامة، وقد كان زاهدا ورعا ناسكا، بلغ في العدل والفضل مبلغا عظيما، نظّم شؤون الدّولة وأصلح ما أفسدته الفتنة والحروب الضّاربة الّتي حصلت في عهد سلفه[3]، فبسط الأمن والسّلام والعدل وعمّ الهدوء والرّخاء في جميع أرجاء البلاد، وانصرف النّاس إلى حياتهم ومعاشهم وهو يحضّهم على عمل الخير والبناء والتّشييد، ليتوفّى في سنة 281هـ/ 894م بعد حكم دام أربعين عاما[4].

---

[1]- ابن الصّغير، أخبار الأئمّة الرّستميين، ص. 49- 59؛ الشّماخي، كتاب السّير، ج. 1، ص. 166.

[2]- ابن الصّغير، أخبار الأئمّة الرّستميين، ص. 61- 75؛ محمّد عيسى الحريري، الدّولة الرّستميّة بالمغرب الإسلامي، ص. 155- 163.

[3]- الدّرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، ج. 1، ص ص. 83- 84.

[4]- بوركبة محمّد، الجزائر الاجتماعيّة في عهد الدّولة الرّستمية، ص. 119- 122.

بعد وفاة أبي اليقظان تولّى أمر الدّولة أئمّة ضعاف من البيت الرّستمي قامت بينهم خلافات حول كرسي السّلطة مثل ما حدث بين الإمامين أبي حاتم بن أبي اليقظان الّذي تولّى الحكم بعد وفاة والده سنة 281هـ/ 894م وعمّه يعقوب بن أفلح ممّا انجرّ عنه قيام صراعات قبليّة بدعم منهما للحفاظ على سلطانهم كي يسودوا فدخلت دولتهم في مرحلة من التّفكّك والهوان وانتهى هذا الخلاف بين ابن الأخ والعمّ بمقتل أبي حاتم بن أبي اليقظان سنة 294هـ/ 907م، ويتولّى أمرها من بعده أخاه اليقظان بن أبي اليقظان (294- 296هـ/ 907- 909م) كآخر إمام لهذه الدّولة، والّذي تميّز عهده بكثرة الفتن والفوضى والاضطراب وظهور الانحلال الأخلاقي والفساد الاجتماعي والتّعصّب المذهبي الدّيني في صفوف الرّعيّة، بالإضافة للخطر الخارجي الّذي ساهم بقسط وافر في إضعاف الدّولة خاصّة في الجانبين العسكري والاقتصادي، والّذي تجلّى أساسا في الصّراع مع الأغالبة من جهة، وظهور الخطر الشيعي الفاطمي من جهة أخرى، حيث كان الفاطميون السّبب المباشر في زوال ملك الرّستميين سنة 296هـ/909م[1].

[1]- ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 1، ص. 153؛ الباروني النّفوسي، الأزهار الرّياضية في أئمّة وملوك الأباضيّة، ص. 266- 293؛ بوركبة محمّد، الجزائر الاجتماعيّة في عهد الدّولة الرّستمية، ص. 122- 132.

المحاضرة السّابعة:

الموضوع: دولتا الأدارسة والأغالبة في المغربين الأقصى والأدنى.

1/- دولة الأدارسة (172- هـ/ 788- م):

هي أوّل دولة علويّة هاشميّة تأسّست في بلاد المغرب على المذهب السني وليس المذهب الشيعي[1]، قامت على أكتاف البربر المستعربين خاصّة قبائل أوربة وغمارة ومكناسة وهوارة ولواته.

وتنسب هذه الدّولة إلى مؤسّسها إدريس الأوّل، أو إدريس بن عبد الله الكامل، الّذي كُتِبَت له النّجاة من سيوف العبّاسيين إثر واقعة فخ بالقرب من مكّة عام 169 هـ/785م بعد أن أعلن الحسن بن علي أحد أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب الثّورة ضدّ العبّاسيّين في عهد الخليفة موسى الهادي العباسي(169- 170هـ/ 785- 786م)، فنجا إدريس واختار بلاد المغرب وجهة له[2].

بعد هذه الحادثة وصل إدريس إلى المغرب الأقصى برفقة مولاه راشد الّذي وصف بالشّجاعة ورجاحة العقل، حيث نزل الرّجلان عند شيخ قبيلة أوربة البربرية "إسحاق بن محمد ابن عبد الحميد الأوربي " في منطقة وليلي، وما أن وصل إدريس إليها حتّى قام هذا الزّعيم (إسحاق بن محمد بن عبد الحميد) بمبايعته وإعلان قيام الدولة سنة 172 هـ/ 788م[3].

وقد استمرت هذه الدولة ما يزيد عن القرنين والنصف من الزّمن تأرجحت فيها بين القوّة والضّعف، وتعاقب على حكمها خلالها حوالي أربعة عشر حاكما هم على التّوالي[4]:

---

[1]- **سنوسي يوسف إبراهيم**، زناتة والخلافة الفاطمية، مكتبة سعيد رأفت جامعة عين شمس- القاهرة، ط. 1، 1986م، ص ص. 155- 156.

[2]- **ابن أبي زرع الفاسي: علي بن عبد الله**، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق: محمد المهدي الحاحي، مطبعة دار المنصور، الرباط، ط. 1، 1972، ص 16- 19؛ السيلاوي النّاصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج. 1، ص. 207- 209؛ عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص. 159.

[3]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ص. 19- 20؛ إبراهيم بوطالب وآخرون، تاريخ المغرب، ص ص. 88- 89.

[4]- **يحي بوعزيز**، الموجز في تاريخ الجزائر (الجزائر القديمة والوسيطية)، ديوان المطبوعات الجامعية- بن عكنون (الجزائر)، 2007م، ج. 1، ص. 135.

اسم الحاكم	تاريخ حكمه	اسم الحاكم	تاريخ حكمه
إدريس الأوّل	172- 177هـ	يحي الثّالث بن القاسم	234- 292هـ
إدريس الثّاني	177- 213هـ	يحي الرّابع بن إدريس	292- 310هـ
محمّد بن إدريس الثّاني	213- 221هـ	الحسن بن محمد بن القاسم الحجام	310- 313هـ
علي الأوّل بن محمّد	221- 234هـ	موسى بن أبي العافية	313هـ
يحي الأوّل بن محمّد	234هـ	القاسم كنون بن إبراهيم	//
يحي الثّاني بن يحي الأوّل	234هـ	أبو العيش أحمد بن كنون	337- 343هـ
علي الثّاني بن عمر	234هـ	الحسن بن كنون	343هـ

وقد كوّن الأدارسة مجموعة من الإمارات بالمغرب الأوسط منها إمارة تلمسان التي استمرت حتى عام 319 هـ/ 931م حيث سقطت على يد موسى بن أبي العافية المكناسي، وإمارة متيجة حول مدينة الجزائر، وإمارة هاز شرقي مدينة الجزائر ما بين بلدة البويرة وزاغر الشرقي (ضواحي المسيلة وبسكرة حتى وادي سوف) التي قضي عليها من طرف جوهر الصقلي قائد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي[1].

والشيء الملاحظ أن المغرب الأقصى خلال النصف الأول من القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي قد عدى أرضا للصّراع بين الخلافة الفاطمية في المغرب والخلافة الأموية في الأندلس، حيث تناوب أمراء الأدارسة على تقديم فروض الطّاعة لمن تكون له الغلبة فيه والسّيادة عليه، حتى استطاع الأمويون إخضاعه لطاعتهم بعد خروج الفاطميين إلى مصر، وقضوا على آخر معاقل الأدارسة هناك (قلعة حجر النسر) وأجبروا ما تبقى منهم على النّزوح إلى الأندلس في ظلّ حكم الأسرة العامريّة (369- 399هـ)[2]، وأبقوهم في حراستهم بقرطبة وظلوا نسيا منسيا، حتى خرج أحد أحفادهم وهو علي بن حمود (أبو الحسن علي بن حمود بن ميمون بن حمود بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبو طالب) الذي ولّي سبتة وطنجة ثم دعا لنفسه

[1]- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج. 1، ص. 133- 135.

[2]- عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص. 163- 165.

بالخلافة عام 407هـ/ 1016م وكان هو آخر من حكم من أسرة الأدارسة حيث قتل في الثّاني من ذي القعدة سنة 408هـ الموافق للثّالث والعشرين من مارس 1017م بقرطبة[1]، وبعد مقتل علي بن حمّود دخل الحمّوديون في دوّامة من الخلافات والصّراعات انتهت بعزلهم عن الحكم سنة 414هـ/ 1023م[2].

2/- دولة الأغالبة (184هـ-296هـ/ 800م-909م):

تنسب هذه الدّولة إلى مؤسّسها إبراهيم ابن الأغلب الذي بدأ حياته السّياسيّة والعسكريّة في خدمة الخلافة العبّاسيّة في افريقية، وقد كان والده من قبل (الأغلب بن تمام) أحد ولاّة العباسيين على افريقية (148هـ-151هـ/ 764م-767م) ودفع حياته ثمنا في الدّفاع عنها، كما لعب إبراهيم أيضا دورا بارزا في إخماد نار الثّورات ضدّ العبّاسيين في افريقية أيّام كان واليّا على طبنة (بريكة حاليّا في جنوب شرق الجزائر)[3].

فحين ثار أهالي القيروان على والي العبّاسيين محمّد بن مقاتل العكّي كونه كان حاكما ظلوما، ولم يستطع الصّمود أمام الثّوار طلب النّجدة من إبراهيم بن الأغلب الّذي لبّى النّداء عام 183هـ/ 799م وأعاد الأمن والاستقرار إلى نصابهما، لكن أهالي القيروان رفضوا حكم ابن مقاتل وإعلان الولاء والطّاعة له وطلبوا من إبراهيم بن الأغلب أن يتولّى شؤونهم، فكتب بذلك إلى الخليفة العباسي هارون الرّشيد فأجاب رغبته ورغبتهم بأن عيّنه حاكما عليهم استحسانا لصنيع هذه الأسرة وما قدّمته من خدمات جليلة للخلافة العبّاسيّة، وجعل حكم إفريقيّة وراثة بين أفراد هذه الأسرة بداية من إبراهيم بن الأغلب عام 184هـ/800م مقابل خراج سنوي تدفعه هذه

---

[1]- **لسان الدّين ابن الخطيب**، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام (تاريخ إسبانية الإسلامية)، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف- بيروت (لبنان)، ط. 2، 1956م، ص ص. 128- 129؛ **محمّد عبد الله عنان**، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط. 4، 1997م، العصر الأول، القسم الثّاني (الخلافة الأمويّة والدّولة العامريّة)، ص. 656- 661؛ **يوسف أحمد بني ياسين**، نهاية الخلافة الأمويّة في الأندلس: قراءة في المجريات والأسباب (414- 422هـ/ 1023- 1031م)، (مجلّة دراسات للعلوم الإنسانيّة والاجتماعية- الجامعة الأردنيّة، عمّان، مج. 38، ع. 01، 2011م)، ص. 113.

[2]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص. 130- 134؛ محمّد عبد الله عنان، دولة الإسلام، ع. 1، ق. 2، ص. 661- 664؛ يوسف أحمد بني ياسين، نهاية الخلافة الأمويّة في الأندلس، ص. 113.

[3]- عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص. 165.

الإمارة إلى الخلافة العبّاسيّة مقداره أربعون ألف دينار[1]، واستمرّت هذه الدّولة قائمة حتّى سقوطها عام 296هـ/909 م على يد أبي عبد الله الشيعي مؤسّس الدّولة الفاطميّة في بلاد المغرب أيام الأمير زيادة الله الثالث (290هـ-296هـ) وهذا عام 296هـ/909م. [2].

وخلال هذه المدّة الّتي عمّرتها هذه الإمارة تعاقب على حكمها أحد عشر حاكما، أبرزهم وأهمّهم مؤسّس هذه الدّولة إبراهيم بن الأغلب (184هـ-197هـ)، وابنه زيادة الله الأول (209هـ-223هـ) اللّذان يعتبران من خيرة حكّام هذه الدولة لما حقّقاه من إنجازات سياسية وعسكرية وحضارية تجلّت في فرض الأمن والاستقرار في البلاد بالقضاء على المتمردين والثائرين وخلق ازدهار اقتصادي بضرب الدّراهم والدّنانير وإنشاء الدّواوين[3]، وتوجيه الجهود إلى الخارج من خلال إحياء سنّة الجهاد إذ بداية من عهد زيادة اللّه الأوّل شرع الأغالبة في فتح العديد من جزر حوض البحر الأبيض المتوسط كـ: سردينيا عام 206هـ/ 825م، وصقلية ابتداء من عام 212هـ/ 827م وجنوب إيطاليا ممّا أسّس لقيام حضارة عربية إسلاميّة راقية دامت لمدّة ثلاثة قرون، ثمّ إلى جزيرة مالطة ابتداء من عام 255هـ/ 868م وهنا فشلت كلّ محاولات البابويّة والدّوقيات الإيطاليّة في كبح وصدّ هجمات الأغالبة على هذه الجزر لحماسهم الدّيني وتفوّقهم البحري[4].

- جدول توضيحي يبين أهم حكّام دولة الأغالبة مع تاريخ حكمهم[5]:

اسم الحاكم:	مدّة حكمه:	اسم الحاكم:	مدّة حكمه:
إبراهيم بن الأغلب	184- 197هـ	زيادة الله الثّاني	249- 250هـ
أبو العبّاس عبد الله الأوّل	197- 201هـ	محمّد الثّاني (أبو الغرانيق)	250- 261هـ
زيادة الله الأوّل	201- 223هـ	إبراهيم الأصفر	261- 289هـ
أبو عقال الأغلب	223- 226هـ	أبو العبّاس عبد الله الثّاني	289- 290هـ

[1]- الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقيّة والمغرب، ص. 26- 28؛ **ابن وردان**، تاريخ مملكة الأغالبة، تحقيق: محمّد زينهم محمّد عزب، مكتبة مدبولي- القاهرة، ط. 1، 1988م، ص. 30- 33.

[2]- ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، ص. 1120- 1123.

[3]- الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقيّة والمغرب، ص. 39؛ ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، ص. 44.

[4]- عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص. 171- 175.

[5]- شهبي عبد العزيز، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 46.

أبو العبّاس محمّد الأوّل	226- 242هـ	زادة الله الثّالث	290- 297هـ
أبو إبراهيم أحمد	242- 249هـ		

المحاضرة الثّامنة:

الموضوع: تغلغل الفكر الشيعي بين المغاربة وقيام الخلافة الفاطميّة في بلاد المغرب.

I/- تغلغل الفكر الشّيعي بين المغاربة:

تمهيد:

ظهرت فكرة التّشيّع في المجتمع الإسلامي مع قيام نظام الخلافة، فهناك فئة من المسلمين كانت ترى بأحقّية وأولويّة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم لا ينكرون خلافة الصّحابة أبو بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم، ولكنّهم يرون أحقيّة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخلافة[1]، لأنّه من المقرّبين للرّسول صلى الله عليه وسلم حيث تربّى في حجره وتزوّج من أحبّ بناته إليه (السيدة فاطمة الزّهراء رضي الله عنها) وهو ابن عمّه ومن الأوائل الّذين دخلوا الإسلام (أوّل صبي يعتنق الإسلام)، فرأوا أولويّته في الخلافة.

ليظهر التّشيع في صورة أوضح بعد تولّي سيدنا عثمان رضي الله عنه أمر الخلافة في الدّولة الإسلاميّة، فقد كان هناك فريق من الصّحابة يفضّل عليّا عن عثمان رضي الله عنهما، ويرونه أحقّ منه بالخلافة، وقد كان هذا التّشيّع في بادئ الأمر تشيّعا سياسيّا[2].

وقد عرف التّشيع انتشارا واسعا داخل العالم الإسلامي بعد مقتل الإمام علي رضي الله عنه سنة 40هـ وانتقال الخلافة إلى بني أمية، وكان الفرس أكثر الموالي تشيّعا لآل البيت حيث انتشرت بينهم أفكار المذهب وأصبحوا من أكبر الدّعاة له، وقد وصلت هذه الأفكار وانتشرت بين المغاربة أيضا لما عرفوه من قمع واضطهاد على يد الولاّة الأمويين ثم العباسيين[3].

1/- معنى التشيع:

---

[1]- ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، ص. 277؛ **محمّد علي اسلم ولد الطّالب أعبيدي**، الصّراع الفكري والسّياسي في الدّولة الإسلامية قبل القرن 5هـ، النّشر الجامعي الجديد- الكيفان تلمسان- الجزائر، 2018م، ص. 18.

[2]- **أحمد بن سعد حمدان الغامدي**، التّشيع، نشأته ومراحل تكوينه، دون دار نشر، مكّة المكرّمة، ط. 1، 2010، ص. 22.

[3]- موسى لقبال، تاريخ المغرب الإسلامي، ص ص. 171- 172.

لغة: التشيع يعني الإتباع أو التحيّز[1]، ومنها قوله تعالى:". **هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِن عَدُوِّهِ.**"[2].

اصطلاحا: التشيع يعني تبني الرأي القائل بأحقيّة وأولوية آل البيت بالإمامة (الخلافة)، وأصحاب هذا الرّأي يفضّلون عليّا كرّم الله وجهه على سائر الصّحابة رضوان الله عليهم ويقولون عنه: " أنّه أفضل النّاس بعد النّبي صلّى الله عليه وسلّم وأنّ الإمامة قاصرة عليه وعلى ذرّيته من بعده."[3].

ويستندون في ذلك إلى مجموعة من الأقوال:

– (أهل البيت كسفينة نوح من ركبها فقد نجا ومن عدل عنها فقد غرق).

– (من مات على حب آل محمد مات شهيدا، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الإيمان، ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا ومن مات على بغض آل محمد لن يشم رائحة الجنة).

ومن أقطاب الشّيعة نذكر الإمام جعفر الصّادق وهو الإمام السّادس للتّشيع الإمامي، وهو الّذي أسّس مدرسة فقهية إسلاميّة عُرِفَتْ: بالفقه الجعفري[4].

2/– أفكار الشيعة وفرقهم:

للشيعة أفكار عدّة ينطلقون منها بعضها له وجهة سياسية كفكرة العصمة، وفكرة المهدية، ومبدأ التُّقْيَةُ، ومبدأ الرّجعة.

وبعضها الآخر ذا وجهة فقهية كإباحة زواج المتعة، تحريم الزواج من الكتابيات، أحدثوا ما يخالف السّنة في صلاة الجمعة والتراويح (أبو عبيد الله المهدي، قطع صلاة التراويح، وأمر بصوم يومين قبل رمضان، وقنت في صلاة الجمعة بدلا من صلاة الصّبح (الدّعاء في الركعة

---

[1])– أحمد بن سعد حمدان الغامدي، التّشيع، نشأته ومراحل تكوينه، ص.

[2])– سورة القصص، الآية: 15.

[3])– محمّد علي اسلم ولد الطّالب أعبيدي، الصّراع الفكري والسّياسي في الدّولة الإسلامية، ص ص. 86– 87.

[4])– **محمّد فيّاض**، فرق الشّيعة بين النّشأة والتّطوّر والعمل السّياسي، دار العالم العربي– مدينة نصر، القاهرة، ط. 1، 2017م، ص. 234.

الثانية)، والجهر بالبسملة في الصلاة المكتوبة، وحرّف صيغة أذان صلاة الصبح (زاد : حي على خير العمل، محمد وعلي خير البشر).

وينقسم الشيعة إلى عدد كبير من الفرق أهمهم:

- فرقة الإسماعيلية (نسبة الى إسماعيل).
- فرقة الإثنا عشرية (الموساوية).
- فرقة الزيدية (وهم أكثر الشيعة اعتدالا).
- فرقة القرامطة (حمدان قرمط).
- فرقة الدروز[1].

3/- انتشار التّشيع بين مسلمي المغرب (المغاربة):

إنّ انضمام مسلمي المغرب (البربر) إلى الحركة الشيعية بدأ منذ القرنين الثاني والثالث الهجريين، وتنسب البدايات الأولى لتسرب النّزعة الشّيعية إلى الإمام جعفر الصادق الذي أرسل داعيين إلى المغرب وهما عبد الله بن علي بن أحمد المعروف بالحلواني وأبو سفيان الحسن بن القاسم بقوله:" اذهبا إلى المغرب فإنّكما تأتيان أرضا بورا فاحرثاها وكرّباها وذلّلاها إلى أن يأتيها صاحب البذر فيجدها مذلّلة فيبذر حبّه فيها."[2] وكان صاحب البذر هو أبو عبد الله الشيعي الصّنعاني المحتسب.

وقد اعتمد الشيعة في نشر مذهبهم وبث أفكارهم بين المغاربة على دعاة مهرة ورجال ذوي عزيمة صادقة عرفوا كيف يستميلون إليهم المغاربة وبطرق عدّة منها:

- العاطفة، وتتمثل في حبّ آل البيت والرغبة في الثأر لهم لما أصابهم على أيدي الأمويين والعباسيين.

---

[1])- محمّد فيّاض، فرق الشّيعة.

[2])- **القاضي النّعمان**، كتاب افتتاح الدّعوة، تحقيق: فرحات الدّشراوي، الشّركة التّونسيّة للتّوزيع- تونس، ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر، ط. 2، 1986م، ص. 26- 29؛ **موسى لقبال**، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م)، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع- الجزائر، 1979م، ص. 216.

– الإغراء بالمناصب العليا وبالمال الكثير فمثلا: نجد أن محمد بن حيان وعليا بن منصور الصفار وعبد الله بن محمد الضبي تشيعوا لأغراض مادية، وإسحاق بن أبي المنهال تشيّع ليؤتى قضاء صقلية ثم قضاء القيروان، وأحمد بن محمد بن شهرين قاضي برقة تشيع ليصير موثقا يكتب العقود ويشهد بين الناس في القيروان وكان على جانب كبير من الفقر والحاجة[1].

4/– أسباب ودوافع تبني المغاربة لأفكار الشيعة:

هناك عدة أسباب ودوافع منها:

– تعرض المغاربة والشيعة للظلم والتعسف والاضطهاد على يد الأمويين والعباسيين وهذا قاسم مشترك أدى إلى تقارب المغاربة والشيعة وتحزبهما للتخلص من الأمويين والعباسيين.

– دهاء وحنكة الدعاة الشيعة وتمكنهم من استمالة المغاربة إليهم وبث أفكار مذهبهم فيهم عن طريق التلاعب بعواطفهم بحب آل البيت أو إغرائهم بالمال والمناصب.

5/– نتائج تغلغل المذهب الشيعي إلى بلاد المغرب:

لقد كان لتوغل المذهب الشيعي إلى بلاد المغرب عدة نتائج أهمها:

– ازدهار الحركة الثقافيّة والفكرية داخل بلاد المغرب.

– انتشار المذهب الشيعي الإسماعيلي بين المغاربة.

– قيام دولة إسلامية ببلاد المغرب ذات أفكار شيعيّة مثل الدولة الفاطمية (العبيدية).

– قضاء الفاطميين على الدّويلات القائمة في بلاد المغرب (الأغالبة، الرستميّون، بنو مدرار، الأدارسة).

II/– الخلافة الفاطميّة في بلاد المغرب (296– 362هـ/ 909– 975م):

تمهيد:

يعدّ ظهور الدّولة الفاطمية في بلاد المغرب تجربة غريبة في مسار تاريخه، فهي كالبذرة العقيمة زرعت في أرضه نمت وارتفعت فروعها في الهواء لكنها لم تضرب فيه جذورا ولم تترك به بذورا، حملتها أعاصير السّياسة والزّمان من المشرق إلى أرض المغرب وكان لها فيه شأن ثم

[1])– موسى لقبال، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 173.

مضت إلى المشرق (مصر) مخلفة وراءها قلقا شديدا ودمارا بعيد المدى بعد أن قذفوا ببني هلال وآل سليم بن منصور فيه لإرغام بني زيري على العودة إلى الطّاعة وهنا نثرت في بلاد المغرب بذورا عربيّة أصيلة كان لها الأثر الحاسم في تكوين المغرب الإسلامي وترسيخ عروبته.

1/- قيام الدولة الفاطمية:

يرجع الفضل في قيام هذه الدّولة إلى أحد دعاة الشّيعة يدعى أبو عبد الله الشيعي الصّنعاني المحتسب الّذي جاء من المشرق مع حجّاج من قبيلة كتامة بعد أن أمدّه ابن حوشب كبير الدّعاة باليمن بالمال ليبدأ العمل ويكمل ما بدأه أبو سفيان والحلواني[1].

وصل أبو عبد الله الشّيعي مضارب قبيلة كتامة بالمغرب عام 280هـ/893م[2]، وقيل 288هـ/ 901م[3]، وجعل من جبل ايكجان مكانا لتعليم الصّبيان ونشر الدّعوة الإسماعيلية بين الكبار في سرّية وكتمان فلمّا آنس منهم القبول صارحهم بغايته وأعلمهم أنّه صاحب البذر الذي اخبر به أبو سفيان والحلواني فأعلن الكتاميّون له الولاء والطّاعة وبشّرهم بقدوم المهديّ المنتظر صاحب هذا الزّمان وهو من آل رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وتحّول أبو عبد الله الشيعي من داعية ومصلح ديني إلى زعيم سياسي وعسكري وهذا ابتداء من سنة 291هـ/903م[4].

وبدأ في التوسع على حساب دول المغرب الإسلامي شرقا وغربا، والبداية كانت مع دولة الأغالبة حيث سقطت في يده سنة 296هـ/ 909م واستولى على عاصمتها رقادة[5].

عندما وصلت الدعوة إلى هذه الدرجة من النّجاح أرسل أبو عبد الله الشيعي يستدعي إمام الدّعوة وصاحبها الشّرعي عبيد الله المهدي صاحب هذا الزمان الذي بشر به وكان موجودا

---

[1]- القاضي النّعمان، كتاب إفتتاح الدّعوة، ص. 30- 43؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 1، ص ص. 124- 125؛ **مرمول محمّد الصّالح**، السّياسة الدّاخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر، 1983م، ص ص. 34- 35.

[2]- القاضي النّعمان، كتاب إفتتاح الدّعوة، ص. 47.

[3]- ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج. 4، ص. 42.

[4]- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج. 1، ص. 141؛ مرمول محمّد الصّالح، السّياسة الدّاخلية للخلافة الفاطمية، ص. 37- 45.

[5]- مرمول محمّد الصّالح، السّياسة الدّاخلية للخلافة الفاطمية، ص. 46- 49.

في بلاد الشام (سلّمية بحمص)، فاتّجه إلى مصر ثم برقة ومنها عبر الصّحراء إلى سجلماسة فألقى عليه أميرها اليسع بن ميمون المنتصر القبض وسجنه[1]، وما أن وصل الخبر إلى أبي عبد الله الشيعي حتى أعدّ جيشا وزحف به من رقّادة نحو سجلماسة في منتصف شهر رمضان سنة 296هـ/ 910م[2]، فمرّ بالدّولة الرّستمية سنة 296هـ/909م وقضى عليها وقتل آخر أئمتها (اليقظان بن أبي اليقظان)[3]، ومنها إلى سجلماسة حيث حاصرها ثم دخلها وقتل أميرها اليسع بن ميمون بعد فراره منها وخلص عبيد الله المهدي وابنه أبا القاسم محمد، وهنا عقدت البيعة الأولى لعبيد الله المهدي في سجلماسة ومنها اتجه إلى رقادة حيث عقدت البيعة الثانية لعبيد الله المهدي في 21 ربيع الثاني 297 هـ/09 جانفي 910م[4]، ولم يدم الودّ طويلا بين عبيد الله المهدي و وداعيته أبي عبد الله الشيعي طويلا حين نمى إليه أن عبد الله الشيعي وأخاه يدبران ضده مؤامرة لقتله فبادر هو بقتلهما (غزوية بن يوسف) سنة 298هـ/911م.

2/- الظّروف والعوامل المساعدة على نشأة الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب:

- ضعف الخلافة العباسية واستئثار الأتراك بالنفوذ داخلها حيث أصبح خلفاؤها لعبة في يد الأتراك، ولم يبق لهم شيء من السلطات داخل دولتهم.

- ضعف دول المغرب الإسلامي (الرستميين، الأغالبة، الأدارسة، بني مدرار) ابتداء من نهاية النصف الأول من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي حيث أصبح سلطان هذه الدول لا يتعدى حدود عواصمها وباقي المناطق خارج الحدود صارت منطقة فراغ سياسي صالحة لنشر الدعوة الشيعية.

---

[1])- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج. 1، ص. 141.

[2])-موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، ص. 323؛ مرمول محمّد الصّالح، السّياسة الدّاخلية للخلافة الفاطمية، ص. 52.

[3])- ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 1، ص. 153؛ الباروني النّفوسي، الأزهار الرّياضية في أئمّة وملوك الأباضيّة، ص. 293؛ بوركبة محمّد، الجزائر الاجتماعيّة في عهد الدّولة الرّستمية، ص. 122- 132؛ محمّد عيسى الحويري، الدّولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، ص. 182- 186.

[4])- مرمول محمّد الصّالح، السّياسة الدّاخلية للخلافة الفاطمية، ص ص. 54- 55.

– حب المغاربة (البربر) للمخاطرة والقتال، إذ أتتهم دعوة تلوح لهم بتحقيق أمانيهم وتحرك ما في نفوسهم فتبنوا الدعوة الشيعية دون محاولة فهم أصولها ومبادئها.

3/– أهم خلفاء الدّولة الفاطمية ببلاد المغرب:

تعاقب على حكم الدولة الفاطميّة الشّيعية خلال فترة وجودها ببلاد المغرب ما بين (296– 362هـ/ 909– 973م) أربعة خلفاء وهم كالآتي[1]:

اسم الخليفة	مدّة حكمه	اسم الخليفة	مدّة حكمه
عبيد المهدي	297– 322هـ	إسماعيل المنصور بن القائم	334– 341هـ
أبو القاسم بن المهدي (القائم)	322– 334هـ	المعز لدين الله الفاطمي ابن المنصور	341– 362هـ

4/– أهم الثّورات الّتي قامت ضد الفاطميين في بلاد المغرب:

رغم توسّع الفاطميين داخل بلاد المغرب شرقا وغربا إلا أنّهم لم ينعموا بالهدوء والرّاحة لاشتعال نار الثّورات ضّدهم منذ الوهلة الأولى لقيام دولتهم، وقد قامت هذه الثّورات في فترات مختلفة ولأسباب متعدّدة نذكر منها:

أ/ ثورات الكتاميين ما بين عامي (297– 299هـ/ 910– 912م):

أعلنتها بعض بطون كتامة كرد فعل وانتقام لمقتل ابي عبد الله الشيعي وأخيه العباس بأمر من عبيد الله المهدي، فانتهز أهل مدينتي فاس وتهرت الفرصة وأعلنوا الثورة كما ثار أهل جزيرة صقلية أيضا لكن المهدي استطاع أن يقضي عليها ويخضع من عصى من كتامة[2].

ب/ ثورات قبيلة زناتة:

تعد قبيلة زناتة من أكبر قبائل البُتر تحتل مواطن واسعة داخل المغرب الأوسط ، وقد حاول عبيد الله المهدي غزو مضاربها واجبارها على الطاعة سنة 312هـ/924م، فاصطدم

[1]– يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج. 1، ص. 143؛ شهبي عبد العزيز، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 51.

[2]– مرمول محمّد الصّالح، السّياسة الدّاخلية للخلافة الفاطمية، ص. 78.

هذا الجيش بجيوش الزناتيين بقيادة محمد بن خزر المغراوي الزّناتي وتمكن هذا الأخير من هزم الفاطميين وقتل قائدهم مصالة بن حبّوس، وقد حقق محمد بن خزر انتصارات عدّة على الفاطميين فسيطر على منطقة الزاب واقتطاعها منهم[1].

ج/ ثورة أبي يزيد مخلد بن كداد اليفريني الزناتي (صاحب الحمار):

هي من أخطر الثّورات التي واجهت الفاطميين وهدّدت وجودهم في بلاد المغرب، وعاصرت ثلاثة من خلفائهم وهم: عبيد الله المهدي، محمد القائم بأمر الله، أبو الطاهر إسماعيل المنصور، مرّت في تطوّرها بمرحلتين:

- **المرحلة السريّة** (316هـ-331هـ/928م-943م)
- **المرحلة الجهريّة** (331هـ-336هـ/943م-948م)

وقد انتهت بالفشل ومقتل قائدها سنة 336هـ/948م رغم ما حققته من انتصارات على جيوش الفاطميين بل كادت أن تعصف بملكهم، ويعود فشلها إلى جملة من الأسباب منها:

- العداء القديم بين البتر والبرانس الذي دفع بكتامة للاستبسال في الدفاع عن الفاطميين.

- ارتباط مصالح قبيلة كتامة بمصالح سادتها (الفاطميين) فبهم نالت الحكم والسيادة في المغرب ومن دونهم ستكون صيدا سهلا لقبيلة زناتة.

- دخول قبائل صنهاجة وعجيسة معترك الصراع إلى جانب كتامة والفاطميين .

- حرص أتباع أبي يزيد (صاحب الحمار) على الغنائم أكثر من الحرص على نصرته فما إن امتلأت أيديهم حتى تفرقوا عنه واختلفت كلمتهم.

- نتائج ثورة أبي يزيد مخلد بن كداد (صاحب الحمار):

رغم فشل ثورة أبي يزيد إلا أنه كانت لها نتائج على المديين القريب والبعيد بالنسبة للفاطميين ولبلاد المغرب ومنها ما هو إيجابي ومنها ما هو سلبي يمكن حصرها فيما يلي:

- خروج المغربين الأوسط والأقصى عن طاعة الفاطميين وتمرده بزعامة زناتة، وولائهما لخلفاء الدولة بالأندلس.

---

[1]- لمزيد من التّفاصيل حول هذه الثورات أُنظر: عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص. 267- 269، 271- 273.

– توقف حملات الفاطميين على مصر ووقف هجماتهم البحرية على السواحل الأوربية حتى سنة 339هـ/950م.

– إفلاس خزينة الدولة الفاطمية حيث لم يعد بوسعها حتى إعداد الجيوش لمواجهة هذه الثورة.

– ركود التجارة بين الفاطميين والدّول الأخرى.

– تغير السياسة المالية الجائرة القائمة على فرض الضرائب حيث تم إلغاء عدد من الضرائب على المغاربة لاستمالتهم.

– زوال التعصب للمذهب الإسماعيلي الشيعي ومحاولة التقرب من المذهب المالكي السني[1].

إن ثورة أبي يزيد كانت سببا في التفاف قبيلة كتامة بالفاطميين من جديد وانضمام صنهاجة وغيرها من قبائل البرانس إليهم كان مكسبا دعّم نفوذهم وقوّى سلطانهم داخل المغرب.

5/– انتقال الفاطميين إلى مصر:

لقد أدرك خلفاء الدّولة الفاطمية أنه لا مكان لهم ببلاد المغرب بعد أن أحاطت بهم نيران الثوّرات من كل جانب فأصبحوا يفكّرون في نقل ملكهم من بلاد المغرب إلى مصر خاصّة في عهد المعزّ لدين الله الذي كان ثاقب الرّأي بعيد النّظر، فعندما رأى نفور النّاس من بيته ومذهبه وقيام الثّورات ضدّهم، وعداء الأمويين لهم في الأندلس فكّر في نقل ملكه إلى مصر، وهنا كلّف أحد قادته عرف بالذّكاء والدّهاء والحنكة يدعى جوهر الصقلي بفتح مصر فبدأت حملاته عليها سنة 358هـ/969م وتمكّن من دخولها وشرع في **بناء** القاهرة وجامعها كي تكون عاصمة للفاطميين هناك وانتقل إليها المعز لدين الله سنة 362هـ/973م[2]، وينتهي فصل من فصول تاريخ بلاد المغرب في ظل الخلافة الفاطمية.

---

[1])– مرمول محمّد الصّالح، السّياسة الدّاخلية للخلافة الفاطمية، ص. 90– 100؛ عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص. 274– 280؛ **رحماني موسى**، الأوراس في العصر الوسيط من الفتح الإسلامي إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر (27– 362هـ/ 647– 972م)، (مذكّرة ماجستير منشورة)، جامعة منتوري– قسنطينة (الجزائر)، 2006– 2007م، ص. 86– 96؛ **سادسة حلاوي محمود، أحمد محمّد جودي**، الدّولة الفاطميّة وثورة أبو يزيد الخارجي في المغرب الإسلامي (323– 336هـ/ 934– 947م)، (مجلّة لارك للفلسفة واللّسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد 24، العراق، 2017م)، ص. 307– 316.

[2])– مرمول محمّد الصّالح، السّياسة الدّاخلية للخلافة الفاطمية، ص ص. 108– 109.

المحاضرة التّاسعة:

الموضوع: الدولتان الزّيريّة والحمّاديّة في المغربين الأدنى والأوسط.

1/- الدّولة الزّيريّة (362-543هـ/ 937-1148م):

تمهيد:

ينتسب الزّيريون إلى قبيلة صنهاجة البربريّة وهي من قبائل البرانس، وتعدّ من كبريات القبائل القاطنة بالمغرب الأوسط[1]، وقد كان زعيمها مناد بن منقوش (الصنهاجي) من كبار عمّال الأغالبة[2]، وقد تولّى الأمر من بعده ابنه زيري الّذي ذاع صيته في عهد الظاهر إسماعيل المنصور (334-341هـ) بن محمد القائم بأمر الله بن عبيد الله المهدي، بعد مساهمته الفعّالة في القضاء على ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد المعروف بصاحب الحمار (316-336هـ) فكافأه المنصور بأن عيّنه أميرا على قومه، لكنّ **زيري بن مناد** قُتل في عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي وتولّى الأمر بعده ابنه بلكين بن زيري[3]، الّذي عيّنه الخليفة المعزّ عاملا له على آشير والمسيلة وتهرت، ولمّا قّرر المعز الرّحيل إلى مصر عيّنه أميرا على بلاد المغرب ولقّبه بيوسف وأبي الفتوح وسيف الدّولة وكان ذلك بداية لظهور دولتي صنهاجة[4].

فبعد مغادرة الفاطميين ومع مرّ الزمن بدأ نفوذ الأسرة الزيرية يتوسّع في بلاد المغرب وبدأت قوّتهم تتعاظم ممّا أثار قلق الفاطميين وتخوّفهم من انفصال المغرب عنهم، لذلك أخذوا في السّعي لإضعاف الزيريين وتقليم أظافرهم وكسر شوكتهم بمختلف الطّرق بتحريض عملائهم

---

[1])- **الهادي روجي إدريس**، الدّولة الصّنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، ترجمة: حمّادي السّاحلي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط. 1، 1992م، ج. 1، ص. 36.

[2])- ابن خلدون، العبر، ج. 6، ص. 203؛ الهادي روجي إدريس، الدّولة الصّنهاجية تاريخ إفريقية، ج. 1، ص. 37؛ **أيمن السّيد عبد اللّطيف**، الحياة الثّقافية في المغرب الأدنى في عهد الدّولة الزّيرية (361- 543هـ/ 973- 1148م)، دون دار نشر، دون تاريخ نشر، ص ص. 24- 25.

[3])- ابن خلدون، العبر، ج. 6، ص. 203- 205؛ يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج. 1، ص. 145.

[4])- ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 1، ص. 228.

لإعلان العصيان ضدّهم (الزيريين) والتّمرد عليهم، كثورة "أبي فهم الكتامي" (377هـ) وثورة "أبي الفرج" (379هـ) و"أبي البهار حاكم" تهرت 379هـ[1].

وفي ظلّ هذه الظّروف اشتد عداء النّاس للمذهب الشّيعي وكثرت عودتهم للمذهب السّني أيام الأميـر المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي (406-454هـ)، الّذي كان ناقما على الفاطميين فانضم إلى هذا الّتيار وأعلن تأييده لعودة المذهب السّني ودعا النّاس إلى ذلك وقطع الدّعوة للخليفة الفاطمي عام 440هـ وحوّلها للعباسيين معلنا بذلك الانفصال عن الخلافة الفاطميّة الّتي وقفت عاجزة في الردّ عسكريّا فأوعزت لعرب بني هلال وبني سليم للزّحف نحو افريقية للقضاء على قوّة صنهاجة وأمرائها[2].

وبالفعل فقد أسهم هذا الغزو (بنو هلال وبنو سليم 437هـ) في إضعاف حكم الزيريين بالمغرب الأدنى وكثرت حركات الانفصال عنهم، لتأتي الضّربة القاضية والنّهاية الحتمية لإمارة الزيريين بـغزو النورمان لتونس واستيلائهم على عاصمتهم المهدية سنة 543هـ/1148م[3].

وقد بذل أمراء بني زيري جهودا طيّبة في إطفاء نار الثّورات وإصلاح أحوال البلاد والعباد وتنشيط الحركة التّجارية والعمرانية والعلميّة والثّقافيّة بشكل ملحوظ لكنّ الظّروف كانت أقسى وأشد وطأً فعصفت بملكهم في المغرب الأدنى[4].

ملاحظة: مرّ على حكم الدولة الزيرية ما بين عامي 335هـ-543هـ/ 946-1148م تسعة حكام، وهم كالتّالي حسب الجدول[5]:

اسم الحاكم	مدّة حكمه	اسم الحاكم	مدّة حكمه
زيري بن منّاد (منقوش)	(324- 360هـ)	تميم بن المعزّ	(454- 501هـ)
بلكين بن زيري	(360- 373هـ)	يحي بن تميم	(501- 509هـ)

[1])- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج. 1، ص ص. 145- 146.

[2])- **قاسمي بختاوي**، الهجرة الهلاليّة إلى الصّحراء الإفريقيّة(الأسباب والانعكاسات)، (مجلّة السّاورة للدّراسات الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة طاهري محمّد- بشّار (الجزائر)، العدد: 01، ديسمبر 2015م)، ص. 57.

[3])- أيمن السّيد عبد اللّطيف، الحياة الثّقافية في المغرب الأدنى في عهد الدّولة الزّيرية، ص. 47- 56.

[4])- أيمن السّيد عبد اللّطيف، الحياة الثّقافية في المغرب الأدنى في عهد الدّولة الزّيرية، ص. 58- 80.

[5])- شهبي عبد العزيز، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 54. (بتصرف).

المنصور بن بلكين	(373- 386هـ)	علي بن يحي	(509- 515هـ)
باديس بن المنصور	(386- 406هـ)	الحسن بن علي	(515- 543هـ)
المعزّ بن باديس	(406- 454هـ)	//////////////	//////////////

2/- الدولة الحمّاديّة (398-547هـ/ 1007م-1152م):

ينتسب الحمّاديّون إلى الأسرة الزّيرية الّتي يعود أصلها إلى قبيلة صنهاجة البربرية أيضا[1]، تأسّست دولتهم بالمغرب الأوسط (الجزائر)[2]، وقد حملت هذه الدّولة اسمها من اسم مؤسسها حماد بن بلكين بن زيري بن مناد بن منقوش الصنهاجي[3]، هذا الأخير (حماد) عهد إليه أخاه المنصور بن بلكين حكم ولايتي آشير والمسيلة و أوكل إليه مهمة مواجهة ثورات قبيلة زناتة البربرية (البتريّة)[4].

فأظهر حماد مقدرة وكفاءة عالية في ذلك، فأقرّه ابن أخيه باديس بن المنصور على ولايته من جديد، فتصدى حماد لعمّيه زاوي وماكسن فقتل الثاني وفرّ الأول إلى الأندلس سنة 390هـ/1005م[5].

وفي عام 395هـ/ 1005م عهد باديس بن المنصور لعمّه حمّاد بأمر محاربة زناتة الثائرة، فاشترط عليه حمّاد أن يمنحه حكم المغرب الأوسط وكلّ ما سيفتحه من جديد وأن يعطيه الحرّية في اختيار أي مدينة يشاء كي تصبح عاصمة لإمارته، فوافقه على هذه الشّروط، وبذل حمّاد جهودا طيّبة حتى قهر الزناتيين ثم شرع في بناء عاصمته الجديدة مدينة القلعة عام 398هـ/ 1007م (شمال شرق المسيلة وجنوب غرب البرج)[6].

---

[1])- ابن خلدون، العبر، ج. 6، ص. 227؛ **عويس عبد الحليم**، دولة بني حمّاد صفحة رائعة من التّاريخ الجزائري، دار الصّحوة للنّشر والتّوزيع- القاهرة، ط. 2، 1991م، ص. 48.

[2])- ابن خلدون، العبر، ج. 6، ص. 227.

[3])- **عبود أوريدة**، الدّولة الحمّادية وبنيتها الثّقافية، (مجلّة علوم الإنسان والمجتمع، العدد: 24، ديسمبر 2017م)، ص. 334.

[4])- ابن خلدون، العبر، ج. 6، ص. 227.

[5])- ابن خلدون، العبر، ج. 6، ص. 228؛ يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج. 1، ص ص. 147- 148.

[6])- عبود أوريدة، الدّولة الحمّادية وبنيتها الثّقافية، ص ص. 334- 335.

فذاع صيته وعظمت هيبته وارتفعت سمعة إمارته، فتوجّس منه باديس بن المنصور خيفة فاندلعت نار الحرب بين الجانبين وانتهت بتأسيس الدّولة الحمّاديّة بالقلعة عام 405هـ/ 1014م بعد أن قطع حمّاد الدّعوة للفاطميّين وحوّلها للعباسيّين، وتواصلت الحرب بين الجانبين (الحمّاديّون والزّيريّون) في عهد المعزّ بن باديس ثم ركنا إلى الصّلح وتبادلا الرسل والهدايا[1].

وقد عرف عهد هذه الإمارة زحف القبائل الهلالية على المغرب الأوسط وانتشارها في جنوب الأوراس ومناطق الزاب والقالة وعنابة وقسنطينة وجبال البابور والبيبان، ولم يخل عهد هذه الإمارة من الازدهار والرّقي كإقامة السّدود لري الأراضي والشّرب وتنشيط التّجارة والاهتمام بالعمران (القلعة وبجاية) وازدهار الآداب والفنون والثقافة حيث أصبحت مدينة القلعة وبجاية تعجّان بالطلاب وقوافل التّجار.

لكن هذه الإمارة أحاطت بها في أواخر أيّامها ظروف ومتاعب أدّت إلى ضعفها وانهيارها منها:

- ضعف أمرائها الأواخر وانحلالهم وانغماسهم في اللهو والملذات وإهمال شؤون الرعية مما أدى إلى غضب الأهالي كما حصل في عهد آخر أمرائها يحي بن العزيز.
- كثرة هجمات النّورمان على بلاد المغرب في صقليّة.
- ظهور دولة الموحدين في المغرب الأقصى وتوسعها نحو المغربين الأوسط والأدنى.
- تواطؤ الوزير ميمون بن حمدون وزير الأمير الحمادي يحي بن العزيز بعد أن عاث فسادا.

فسقط آخر معاقل الحمّاديين في يد الموحدين (إمارة عنابة) سنة 551هـ/ 1156م بعد أن استولوا على بجاية عام 547هـ/1152م.

ملاحظة: عرفت دولة الحمّاديّين أزهى عصورها في عهد الأميرين الناصر بن علناس (454-481هـ) وابنه المنصور (481-498هـ) [2].

[1]- ابن خلدون، العبر، ج. 6، ص. 228؛ يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج. 1، ص ص. 148- 149.

[2]- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج. 1، ص ص. 149- 150.

وقد تولى أمرها حوالي تسعة أمراء خلال مدّة قرنين واثنين وأربعين عاما، وهم كالتّالي حسب الجدول[1].

اسم الحاكم	مدّة حكمه	اسم الحاكم	مدّة حكمه
حمّاد بن بلكين	(405- 419هـ)	المنصور بن النّاصر	(481- 498هـ)
القائد بن حمّاد	(419- 446هـ)	باديس بن المنصور	(498هـ)
محمّد(محسن) بن القائد	(446- 447هـ)	العزيز بن المنصور	(498- 515هـ)
بلكين بن محمّد بن حمّاد	(447- 454هـ)	يحي بن العزيز	(515- 547هـ)
النّاصر بن علنّاس بن حمّاد	(454- 481هـ)		

[1]- شهبي عبد العزيز، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 54. (بتصرف).

المحاضرة العاشرة:

دولة المرابطين في المغرب الإسلامي

(434- 541هـ/ 1059- 1147م):

1/- الغرب الإسلامي عشية ظهور المرابطين:

شهد الغرب الإسلامي خلال النصف الأول من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) حالة من التّشرذم السّياسي والضّعف العسكري غير المسبوقين، مما جعل المنطقة بأكملها – من المحيط الأطلسي غرباً إلى برقة شرقاً، ومن البحر المتوسط شمالاً إلى الصحراء الكبرى جنوباً – عرضة للأخطار الداخلية والخارجية، ففي بلاد المغرب كانت الخلافة الفاطمية قد انصرفت إلى الشرق بعد فتحها مصر عام 362هـ/973م، تاركةً المنطقة لتعاني من فراغ سياسي ملأته إمارات قبلية متناحرة: إمارة بني يفرن في تلمسان، وإمارة بني حمّاد في المغرب الأوسط، وإمارة بني مغراوة في فاس، وإمارة بني زيري في إفريقية، وكانت هذه الإمارات تتصارع على النفوذ وتُرهق الرّعية بالضرائب والمكوس[1].

وفي خضم هذه الفوضى كانت الصّحراء الكبرى تشهد حركة مختلفة، فقبائل صنهاجة (لمتونة وجدالة وماسوفة) كانت تعيش حياة البداوة والترحال، وتمتلك ثروة هائلة من الذّهب القادم من بلاد السودان عبر القوافل التي تسيطر عليها، وكانت تعاني من الأمية الدينية لكنها تمتلك فضائل الشجاعة والوفاء، وهذه الصّفات هي التّي سيجدها الدّاعية عبد الله بن ياسين ضالته لبناء نواة الدّولة المرابطية[2].

2/- يحيى بن إبراهيم الجدالي وعبد الله بن ياسين وتأسيس الرّباط:

---

[1]- ابن خلدون، "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، تحقيق خليل شحادة، الجزء السادس، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 2001، ص. 150- 153؛ يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ص. 177؛ شهبي عبد العزيز، تاريخ المغرب الإسلامي، ص ص. 64- 65.

[2]- أبو عبيد الله البكري، "المسالك والممالك"، ج. 2، ص. 858- 859.

العامل المباشر في ولادة الدّعوة المرابطية كان يحيى بن إبراهيم الجدالي، أحد زعماء قبيلة جدالة، الذي قام برحلة الحج إلى مكة حوالي عام 427هـ/1035م، وفي طريقه مرَّ بالقيروان (تونس حالياً) التي كانت في ذلك الوقت مركزاً علمياً كبيراً للمذهب المالكي، فرأى من حسن إسلام أهلها ما أثار حسرته على قومه في الصّحراء الذين كانوا يعيشون على هامش الإسلام[1]. هنا وفي القيروان توجّه يحيى بن إبراهيم الجدالي إلى الفقيه أبي عمران الفاسي (المتوفى سنة 430هـ) وعرض عليه أمر اصطحابه أو إرسال فقيه من تلامذته ليصحبه إلى قومه كي يتولّى إلى جانبه مهمة الإصلاح وسط قومه، لكن أبا عمران كان كبيراً في السن، فدلَّه على تلميذه عبد الله بن ياسين الجزولي قائلاً: "ما أعلم رجلاً يصلح لهذا الأمر غير عبد الله بن ياسين، فإنه رجل قوي على الشدة، صبور على الجوع والعري، لا تأخذه في الله لومة لائم"[2].

قبل عبد الله بن ياسين التّحدي وانطلق مع يحيى بن إبراهيم الجدالي إلى الصّحراء. عند وصوله، وجد أن مهمّته ليست سهلة، فالقبائل كانت متمسّكة بعاداتها الجاهلية كأكل الميتة وشرب الخمر وتعدّد الزّوجات بغير عدد، فاصطدم بزعمائهم واعتزل هو ومجموعة صغيرة من أتباعه إلى موقع يُدعى "نول لمطة "(في جنوب موريتانيا الحالية) حوالي عام 437هـ/ 1045م[3]، هناك أسّس عبد الله بن ياسين "رباطاً" دينياً وعسكرياً محصّناً، جمع فيه بين وظائف المسجد والمدرسة والثكنة العسكرية، ومن هنا اشتقّ اسم المرابطين (أهل الرباط)[4].

وضع ابن ياسين نظاماً صارماً للحياة في الرّباط يقوم على الطّاعة المطلقة للأمير، وإقامة الصّلوات جماعة، وتحريم الخمر والزنا، وإخراج الزكاة، والاستعداد الدائم للجهاد، وارتداء اللثام (غطاء الوجه) الذي أصبح رمزاً مميزاً للمرابطين[5].

---

[1])- أبو عبيد الله البكري، المسالك والممالك، ج. 2، ص ص. 858- 859.

[2])- ابن عذاري المراكشي، "البيان المغرب"، ج. 3، ص. 242؛ يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ص. 175.

[3])- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب، ص ص. 97- 98.

[4])- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج. 4، ص. 12.

[5])- **القاضي عياض بن موسى اليحصبي**، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، الجزء الرابع، مكتبة الحياة، بيروت، الطبعة الأولى، 1967م، ص ص. 221- 222.

وقد تمكن ابن ياسين من تحويل هذه المجموعة الصّغيرة إلى جيش منظّم شديد الانضباط بلغ عدد أفراده في ذروة قوّته حوالي خمسة عشر ألف مقاتل، كانوا يتدرّبون يوميّاً على الفروسية ورمي السّهام، ويحفظون القرآن الكريم، وكانوا يقاتلون تحت راية واحدة مكتوب عليها "لا غالب إلا الله"[1].

3/- أبو بكر بن عمر ويوسف بن تاشفين وتأسيس الإمبراطورية المرابطيّة:

بعد استشهاد عبد الله بن ياسين في حرب البرغواطيين عام 451هـ/ 1059م، تولى القيادة أبو بكر بن عمر اللمتوني (المتوفى سنة 480هـ)، وكان قائداً عسكرياً محنكاً زاهداً متواضعاً. في عام 454هـ/1062م، أسس مدينة "مراكش "وجعلها عاصمة لدولته، وبنى سوراً حولها وقصراً للإمارة[2]، ثم في عام 466هـ/1074م تنازل أبو بكر عن الحكم لابن أخيه يوسف بن تاشفين (المتوفى 500هـ/1106م) ليتفرّغ هو للجهاد في الصّحراء.

يعتبر عهد يوسف بن تاشفين العصر الذّهبي للمرابطين، فقد كان رجلاً طويل القامة، شديد التّقوى، زاهداً في الدّنيا، قليل الكلام، شديد البأس[3]، أكمل يوسف فتح المغرب، ففتح فاس عام 467هـ/ 1075م، وتلمسان عام 475هـ/ 1082م، ومدينة الجزائر، وامتدت دولته من المحيط الأطلسي غرباً إلى بجاية شرقاً. اتّخذ يوسف لقب أمير المسلمين اعترافاً نظرياً بالخلافة العبّاسية في بغداد، وأسّس نظاماً إدارياً مركزيّاً قسّم فيه الدولة إلى ولايات، وجعل اللغة العربية لغة الإدارة الرّسمية، وأقام القضاء على يد فقهاء المالكية[4]، يقول عنه الأمير عبد القادر الجزائري: "كان يوسف بن تاشفين مثالاً للحاكم العادل الزاهد، كان لا ينام إلا على التراب، ويلبس الصوف الخشن، ويأكل الشعير مع الزيت، ويعطي جنده أطيب الطعام وأجود

---

[1])- ابن خلدون، العبر، ج. 6، ص ص. 243.

[2])- **الحميري: محمد بن عبد المنعم**، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1984م، ص. 124.

[3])- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج. 4، ص. 24.

[4])- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج. 4، ص ص. 27- 28؛ ابن خلدون، العبر، ج. 6، ص. 198- 200.

الثياب"[1]، وفي المجال العسكري، نظّم يوسف الجيش وجعله يتكون من نواة صنهاجية (لمتونة وجدالة وماسوفة) ومرتزقة من الزّنوج، واشتهر الجيش المرابطي بالانضباط الصارم والفروسية المتفوّقة[2].

4/- المرابطون وضم الأندلس:

في عام 478هـ/1085م سقطت مدينة طليطلة (Toledo) في يد ألفونسو السادس ملك قشتالة، وكانت هذه ضربة قاصمة للمسلمين في الأندلس، لأنّ طليطلة كانت تقع في قلب الأندلس فسقوطها يعني أن النصّارى أصبحوا يهددون قرطبة وإشبيلية وغرناطة[3]. فزع ملوك الطوائف لهذا الأمر (سقوط طليطلة) وأرسل المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية يستغيث بيوسف بن تاشفين، وكتب إليه أبياتاً مشهورة منها:

"لله درُّك من غوثٍ ألوذ به... أو القصائد إلا أنت لم تُقْرَإِ"[4].

استشار يوسف بن تاشفين فقهاءه فأفتوه بوجوب الجهاد، فجهّز جيشاً ضخماً وعبر المضيق إلى الأندلس عام 479هـ/1086م، في 12 رجب 479هـ (23 أكتوبر 1086م) التقى الجيشان (جيش المسلمين وجيش القشتاليين) في سهل "الزلاقة" بالقرب من بطليوس (Badajoz)

---

[1]- **ابن القاضي: أحمد بن محمد بن أبي العافية**، جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، دون تحقيق، دار المنصورة للطّباعة والورّاقة- الرّباط، 1973، ص. 45؛ **الأمير عبد القادر الجزائري**، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر وتونس والمغرب الأقصى، تحقيق مبارك بن محمد الميلي، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ط. 1، 1903م، ص. 45.

[2]- **حامد محمّد خليفة**، انتصارات يوسف بن تاشفين (400- 500هـ/ 1009- 1106م)، مكتبة التّابعين عين شمس- القاهرة، ط. 1، 2004م، ص ص. 48- 49.

[3]- **ابن الكردبوس: أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التّوزري**، تاريخ الأندلس، تحقيق: أحمد مختار العبّادي، معهد الدّراسات الإسلاميّة بمدريد، 1971م، ص. 87، **خليل إبراهيم السّامرائي**، علاقات المرابطين بالممالك الإسبانيّة بالأندلس وبالدّول الإسلاميّة، منشورات وزارة الثّقافة والإعلام- الجمهورية العراقيّة، 1985، ص. 110- 112.

[4]- **عبد الله بن بلقين**، مذكّرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة المسماة بكتاب التّبيان، تحقيق: ليفي بروفنسال، تقديم سليمان العطّار، ط. 2، دار المعارف- مصر، 2008م، ص. 69؛ ؛ **مؤلّف مجهول**، الحلل الموشيّة في ذكر الأخبار المرّاكشيّة، تحقيق: سهيل زكّار، عبد القادر زمامة، الطّبعة الأولى، دار الرّشاد الحديثة- الدّار البيضاء، 1979م، ص. 33؛ فاتح مزردي، الدّولة المرابطية، ص. 125.

وضع يوسف خطة محكمة: جعل جيوش ملوك الطوائف في المقدمة كطعم للعدو، وأخفى جيشه المرابطي خلف التّلال، وعندما انهزمت جيوش الطوائف واندفع النّصارى وراءها، خرج عليهم المرابطون من كل جانب وأبادوهم[1]، يقول ابن عذاري: "فحمل يوسف بن تاشفين بنفسه في جيشه، فضرب في النصارى ضربة واحدة، وكبكبهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وفر ألفونسو السّادس منهزماً لا يلوي على شيء"[2]. قُتل في المعركة حوالي عشرة ألف نصراني، ونجا ألفونسو بأعجوبة بعد المعركة، رأى يوسف فساد ملوك الطوائف وتواطئهم مع النّصارى، فاستفتى فقهاء الأندلس (ومنهم أبو بكر بن العربي المعافري) فأفتوه بجواز خلعهم، فخلعهم واحداً تلو الآخر وضم الأندلس إلى دولته، وأصبح الغرب الإسلامي بأكمله (من شنقيط إلى سرقسطة) موحّداً تحت راية المرابطين[3].

5/- ضعف المرابطين وسقوط دولتهم:

بعد وفاة يوسف بن تاشفين عام 500هـ/1106م، تولّى ابنه علي بن يوسف (500-537هـ)، وكان رجلاً تقياً لكنه لم يمتلك هيبة والده، فبدأت الصّراعات القبلية بين فروع صنهاجة تظهر، ودخل الترف والفساد إلى القصور، وضعف الجيش، وتهاونت الإدارة[4]. يقول ابن خلدون: "فلما ولي علي بن يوسف، غيّر سيرة أبيه وجده، وترك لبس الصّوف وأكل الشعير، ولبس الحرير وأكل الأطعمة الفاخرة، وبنا القصور المشيّدة، فمالت عنه قلوب المرابطين الأوائل"[5]. وفي الأندلس، سقطت سرقسطة في يد النصارى عام 512هـ/1118م،

---

[1]- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص. 1500.

[2]- **يوسف أشباخ**، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحّدين، ترجمة وتعليق: محمّد عبد اللّه عنّان، المركز القومي للتّرجمة- القاهرة، 2011م، ج. 1، ص. 90؛ عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص. 379؛ **محمّد محمود النّشار**، دراسات في تاريخ الحروب الصّليبية في الأندلس، ط. 1، عين للدّراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، مصر العربية، 2003م، ص. 35- 36.

[3]- شهبي عبد العزيز، المرجع السّابق، ص. 9.ص. 144، 152، 157- 158.

[4]- ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 4، ص ص. 5- 6.

[5]- ابن خلدون، العبر، ج. 6، ص. 212.

مما شكل ضربة قاصمة لهيبة المرابطين. وفي المغرب، ظهر خطر جديد وهو "الدعوة الموحدية" بقيادة محمد المهدي بن تومرت (المتوفى 524هـ) الذي اتّهم المرابطين بالكفر والشّرك، ثم من بعده جاء الدّور على عبد المؤمن بن علي الكومي النّدرومي (المتوفى 558هـ) الذي قاد حركة عسكرية عنيفة ضدّهم فقضى على حكمهم[1].

ففي عام 539هـ/ 1145م خرج عبد المؤمن من جبال الأطلس بجيش كبير، وبدأ في اجتياح مدن المغرب واحدة تلو الأخرى، فسقطت فاس وتلمسان ومكناسة، وحوصرت مراكش عاصمة المرابطين. في عام 541هـ/ 1147م اقتحم الموحدون مراكش وقتلوا آخر أمراء المرابطين تاشفين بن علي، وسقطت الدولة المرابطية رسمياً[2]. فرَّ فلول المرابطين إلى الأندلس وجزر البليار، لكن الموحدين طاردوهم هناك أيضاً، وكان آخر معقل لهم في جزيرة منورقة (Menorca)الذي سقط عام 547هـ/ 1152م، وبذلك انتهت الدولة المرابطية تماماً[3].

ورغم أن دولة المرابطين لم تعمّر طويلاً (دامت حوالي قرن واحد فقط، من 447هـ/1055م إلى 547هـ/1152م)، إلاّ أنّ إرثها في الغرب الإسلامي كان ضخماً وعميقاً، ومن أبرز إنجازاتها:

– توحيد المغرب والأندلس سياسيّا ولأوّل مرّة تحت راية واحدة منذ الفتح الإسلامي.

– إنقاذ الأندلس من الانهيار والسّقوط الكامل بعد سقوط طليطلة في يد القشتاليين.

– نشر الإسلام الصحيح والقضاء على البدع والديانات المنحرفة وترسيخ المذهب المالكي السني في الغرب الإسلامي، وهو المذهب الذي لا يزال هو الغالب في المغرب العربي حتى يومنا هذا.

---

[1])– **عبد الواحد المراكشي بن علي التميمي**، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: صلاح الدّين الهواري، المكتبة العصرية صيدا– بيروت، الطبعة الأولى، 2006م، ص. 144– 146، 148، 150– 151.

[2])– ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 4، ص ص. 55– 56؛ عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص. 151.

[3])– ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 4، ص. 70–72.

– العمارة والتحصينات حيث بنا المرابطون مدناً جديدة بأكملها (مراكش) وأسواراً ضخمة ومساجد ومدارس لا تزال آثارها باقية حتى اليوم.

– الازدهار الاقتصادي حيث فتحوا طرق التجارة عبر الصحراء وأمنوها، وأدخلوا الذهب الأفريقي إلى الأسواق الأوروبية بكمّيات كبيرة[1]، ويختتم ابن خلدون حديثه عن المرابطين قائلاً: "وكانت دولة المرابطين دولة جهاد وعدل وقوة، أقاموا الحق وأماتوا الباطل، ونصروا الدّين وحموا الثّغور، وكانت أيّامهم من أيام الله التي يستدل بها على قدرته وحكمته في خلقه، رحمهم الله وغفر لهم"[2].

[1])– ابن خلدون، "العبر"، ج. 6، ص ص. 248– 249.

[2])– ابن خلدون، نفس المصدر، ج. 6، ص. 250.

المحاضرة الحادية عشر:

دولة الموحدين في بلاد المغرب الإسلامي

(515- 668هـ/ 1121- 1269م)

1/- الغرب الإسلامي عشية ظهور الدّعوة الموحديّة:

في منتصف القرن السّادس الهجري/ منتصف القرن الثاني عشر الميلادي، كانت دولة المرابطين التي حكمت المغرب والأندلس طيلة قرن كامل تعاني من أزمات داخلية خانقة جعلتها على شفا الانهيار، فبعد وفاة الأمير يوسف بن تاشفين عام 500هـ/ 1106م، تولّى ابنه علي بن يوسف (500-537هـ/ 1106- 1143م) حكم الدّولة المرابطيّة، وكان رجلاً تقياً ورعاً[1] لكنّه يفتقر إلى الحنكة السّياسية والقوّة العسكريّة التي تميّز بها والده، فبدأت بوادر الضّعف تظهر في عهده وعهد من جاء بعده، فاشتعلت الصّراعات القبلية بين فروع قبيلة صنهاجة (لمتونة وجدالة وماسوفة) على السّلطة والغنائم، وفسدت الإدارة وكثرت المظالم، وتحوّل القادة والولاة إلى حياة التّرف والفساد بعد أن كانوا زهّاداً عبّاداً في الجيل الأول[2]. ومن النّاحيّة الخارجيّة، كانت الجبهة الأندلسية تشهد هجمات مسيحية متزايدة من مملكة قشتالة ومملكة أراجون ومملكة البرتغال، فسقطت مدينة سرقسطة (Zaragoza) في أيدي النّصارى عام 512هـ/ 1118م، مما شكّل ضربة قوية لهيبة المرابطين[3].

وفي هذا الجو المشحون بالاضطرابات ظهر إلى الوجود رجل حادّ الطّباع، عظيم التّأثير، غيّر مجرى التاريخ في الغرب الإسلامي بأكمله، وهو "محمد المهدي بن تومرت" (المتوفى 524هـ/ 1130م) من قبيلة هرغة البربرية التابعة لاتحاد قبائل مصمودة

---

[1]- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الثّقافة بيروت (لبنان)، ط. 3، 1983م، ج. 4، ص. 48؛ ابن خلدون، العبر، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع- بيروت، 2000م، ج. 6، ص. 250.

[2]- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب، ص ص. 165- 166.

[3]- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص. 154- 155.

(Masmuda) الكبير الذي كان يسكن جبال الأطلس الكبير جنوب مراكش[1]. كان ابن تومرت قد قضى سنوات طوال في رحلة علمية شاقّة إلى المشرق الإسلامي دامت لأزيد من عشر سنوات، حيث زار بغداد وأصبهان ودمشق والقاهرة، وتتلمذ على يد كبار علماء الأشاعرة والمعتزلة والصّوفية، وتأثّر بأفكار الإمام أبي حامد الغزالي (المتوفى 505هـ) الّذي كان يدعو إلى إصلاح الدين وتجديده[2].

2/- محمد المهدي بن تومرت من طالب العلم إلى المهدي المنتظر:

ولد محمد بن تومرت في قبيلة هرغة بمنطقة جبل الأطلس الكبير حوالي عام 471هـ/1078م، ونشأ في بيئة قبلية جبلية بعيدة عن مرّاكش عاصمة المرابطين، وكانت علامات النبوغ والذكاء قد ظهرت عليه منذ صغره، فتعلّم القرآن والفقه على يد فقهاء قريته، ثم رحل إلى الأندلس (قرطبة) ومنها إلى المشرق بحثاً عن العلم[3]. في بغداد، تتلمذ ابن تومرت على يد كبار علماء الأشاعرة، وتأثر بشكل خاص بفكرة "المهدي المنتظر"، وبفكرة "الإمام المعصوم" الّتي كانت سائدة عند الشّيعة الإسماعيلية، فبدأ يقتنع تدريجياً بأنه هو المهدي الذي أرسله الله لإصلاح الدّين وتطهيره من البدع[4].

عندما عاد المهدي إلى المغرب وبدأ دعوته اصطدم بعلماء المرابطين في مراكش، وناظرهم في المسائل العقدية والفقهية، وكان يغلبهم بحدّة ذكائه وسعة علمه، فازداد حنق المرابطين عليه، وأصدروا أمراً بالقبض عليه وإعدامه، لكنّه تمكن من الهرب إلى جبال الأطلس

---

[1])- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب، ص ص. 136- 137.

[2])- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج. 4، ص ص. 25- 26؛ **ابتسام مرعى خلف الله**، العلاقات بين الخلافة الموحّدية والمشرق الإسلامي، دار المعارف- ، 1985م، ص. 47- 52.

[3])- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج. 4، ص ص. 27- 28؛ عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص. 136؛ **ابن خلّكان: أبو العبّاس شمس الدّين أحمد بن محمّد**، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عبّاس، دار صادر- بيروت (لبنان)، دون تاريخ، مج. 5، ص ص. 45- 46.

[4])- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج. 6، ص ص. 301- 302؛ ابتسام مرعى خلف الله، العلاقات بين الخلافة الموحّدية والمشرق الإسلامي، ص. 51.

حيث لجأ إلى قبيلة هرغة (قبيلته الأم)، وهناك أعلن نفسه المهدي صراحة، وأخذ يبايع النّاس على أنّه أمير المؤمنين والخليفة المعصوم[1].

3/- تينمل معقل الدّعوة وتنظيم الدولة الموحدية:

اختار محمد المهدي بن تومرت موقع تينمل (Tinmel) بعناية فائقة ليكون عاصمة دولته الناشئة، فهو موقع جبلي منيع في جبال الأطلس الكبير (جنوب المغرب الحالي على بعد حوالي 100 كم من مدينة تارودانت)، يصعب الوصول إليه إلا عبر ممرات جبلية ضيقة، مما جعله حصناً طبيعياً لا يمكن لأي جيش مرابطي اقتحامه بسهولة[2]. في تينمل أسّس ابن تومرت نظاماً حكومياً مركزياً فريداً، قسَّم فيه المجتمع الموحّدي إلى طبقات أو درجات محدّدة: ففي القمّة كان المهدي نفسه (الإمام المعصوم)، وتحت المهدي نجد مجلس العشرة وهم المهاجرون الأوّلون الّذين استجابوا لدعوته وآزروه ونصروه، وسمّاهم بالجماعة وهم أقرب أتباعه[3]، ومن أبرزهم عبد المؤمن بن علي، ثم مجلس الخمسين وهم الطّبقة الثّانية وهم من كبار القادة والعلماء ينتمون إلى قبائل شتّى وسمّاهم بالمؤمنين، ثم عامّة الجند والموحّدين[4].

كما وضع ابن تومرت "كتاباً" (دستوراً) للموحّدين أسماه "أعز ما يُطلب" (أو "مرشدة " باللغة البربرية)، حدد فيه عقائدهم وواجباتهم وأخلاقهم، وكان هذا الكتاب يُقرأ عليهم في الاجتماعات العامة، وكان من يخالف شيئاً منه يُعاقب بشدة[5]. أما الجيش الموحدي فقد اعتمد على مبدأ "النفير العام"، حيث كان كل رجل بالغ ملزماً بحمل السلاح والقتال عند الحاجة،

---

[1])- ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 4، ص ص.68- 69.

[2])- الحميري: محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار، ص ص. 135- 136.

[3])- عن أسماء هؤلاء العشرة أُنظر بالتّفصيل: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص. 176.

[4])- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص. 141؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ص. 176- 177.

[5])- لمعرفة محتوى هذا الكتاب وما ضمّنه من تعليمات أُنظر: **محمّد بن تومرت مهدي الموحّدين**، أعزّ ما يطلب، تقديم وتحقيق: طالبي عمّار، صدر عن وزارة الثّقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثّقافة العربية، 2007م.

وكانوا يتدربون يومياً على القتال في الجبال خاصّة حرب العصابات والكمائن، وهي تكتيكات لم يكن المرابطون مستعدين لمواجهتها.

4/- معركة البحيرة ووفاة محمّد المهدي بن تومرت:

في عام 524هـ/1130م، قاد ابن تومرت جيشاً كبيراً من الموحّدين (يُقدَّر بحوالي أربعين ألف مقاتل) من جبال الأطلس نحو مدينة مراكش عاصمة المرابطين، وكان هدفه اقتحام المدينة والقضاء على دولتهم في ضربة واحدة[1]، لكنّ المرابطين كانوا قد استعدّوا جيداً، فتحصنوا داخل أسوار مراكش وانتظروا وصول الموحدين، وعند حصار الموحّدين لها خرج عليهم جيش المرابطين في ليلة ماطرة وعاصفة، وهاجموا معسكرهم (معسكر الموحدين) هجوماً مباغتاً، وكانت المعركة عنيفة ودامية، قتل فيها عدد كبير من الموحدين (بين 15 إلى 20 ألف مقاتل)، وفرَّ البقية عائدين إلى جبال الأطلس منهزمين[2].

بعد هذه المعركة بفترة قصيرة توفّي محمد المهدي بن تومرت (عام 524هـ/ 1130م) إما بسبب المرض أو بسبب الجروح التي أصيب بها في المعركة. وقبل أن يموت، أوصى ابن تومرت لتلميذه الأقرب وقائده العسكري "عبد المؤمن بن علي" أن يكون خليفته من بعده، وأمر أتباعه بمبايعته[3]، لكنهم أخفوا خبر وفاة المهدي لعدة سنوات (حوالي ثلاث سنوات) خوفاً من انهيار الدّولة الوليدة، وكان عبد المؤمن هو الذي يدير شؤونها سراً حتى تمّ إعلان وفاة المهدي في الوقت المناسب[4].

5/- عبد المؤمن بن علي قاهر المرابطين ومؤسس الخلافة الموحديّة:

---

[1]- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج. 4، ص ص. 83- 84.

[2]- للمزيد عن هذه المعركة أُنظر: **البيذق: أبوبكر بن علي الصّنهاجي**، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطّباعة والورّاقة- الرّباط، 1971م، ص ص. 39- 40؛ مؤلّف مجهول، الحلل الموشيّة، ص. 114- 116.

[3]- عبد الواحد المراكشي، "المعجب"، ص 146- 147.

[4]- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج 4، ص. 84؛ ابن خلدون، العبر، ج. 6، ص. 305- 306.

عبد المؤمن بن علي (المتوفى 558هـ/ 1163م) هو المؤسّس الحقيقي للدّولة الموحّديّة كإمبراطورية مترامية الأطراف، فهو الرّجل الّذي حوَّل حركة دينية صغيرة محصورة في جبال الأطلس إلى إمبراطورية تمتدّ من المحيط الأطلسي غرباً إلى ليبيا شرقاً. كان عبد المؤمن من أصل زناتي بربري (وليس من مصمودة)، وقد ولد في قرية تاجرة (بالقرب من مدينة تلمسان في الجزائر حاليّاً) حوالي عام 488هـ/ 1095م، وكان في بداية حياته فقيراً يعمل في صناعة الفخّار، ثم سمع بدعوة ابن تومرت فشد الرّحال إلى تينمل والتقى به، وأصبح من أقرب أتباعه وأكثرهم ولاءً[1]، بعد وفاة المهدي تمّت مبايعته بيعة خاصّة من قبل مجلس العشرة وهم أصحاب المهدي وخاصّته، وذلك يوم الخميس 14 من شهر رمضان عام 524هـ الموافق ل 31 من شهر أوت 1130م، ثمّ بيعة عامّة من قبل الموحّدين ككل في يوم الجمعة 20 من شهر ربيع الأوّل 526هـ الموافق ل 09 من شهر فبراير 1132م، وهذا بعد وفاة المهدي بن تومرت بسنتين[2].

بعد وفاة ابن تومرت قاد عبد المؤمن جيش الموحّدين في سلسلة من الحملات العسكرية المنظمة ضد المرابطين، وكان أكثر شراسة وتنظيماً من معلّمه (المهدي بن تومرت). استمرت الحرب بين الموحّدين والمرابطين حوالي سبعة عشر سنة، حتى تمكّن عبد المؤمن في عام 541هـ/1147م من اقتحام مدينة مراكش وقتل آخر أمراء المرابطين تاشفين بن علي، وسقطت الدّولة المرابطية رسمياً[3]. بعد القضاء على المرابطين في المغرب واصل عبد المؤمن توسّعه شرقاً، ففتح بجاية وقسنطينة وتونس وطرابلس، ووصلت دولته إلى حدود مصر الفاطميّة، كما عبر إلى الأندلس وضمّها إلى دولته، وأصبح بذلك أوّل خليفة موحّدي يحكم الغرب الإسلامي

[1]- عبد الواحد المرّاكشي، المعجب، ص. 148؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ص. 183- 184؛ مؤلّف مجهول، الحلل الموشية، ص. 142.

[2]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص. 186.

[3]- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص ص. 151-152؛ شهبي عبد العزيز، تاريخ المغرب الإسلامي، ص ص. 78-79.

بأكمله[1]. اتخذ عبد المؤمن لقب "أمير المؤمنين" (أي الخليفة)، واعترف بالخلافة العبّاسية في بغداد رمزياً، وأسس نظاماً إدارياً مركزياً قسَّم فيه الدولة إلى ولايات، وجعل تينمل عاصمة أولى ثم انتقل إلى مراكش بعد فتحها.

6/- ازدهار الدّولة الموحدية (الفكر والفلسفة والعمارة):

بلغت الدولة الموحدية ذروة ازدهارها في عهد الخليفتين "أبي يعقوب يوسف "(558-580هـ) و"أبي يوسف يعقوب المنصور" (580-595هـ)، حيث امتدت الدولة من المحيط الأطلسي إلى طرابلس الغرب، ومن البحر المتوسط إلى الصحراء الكبرى، وكانت أقوى دولة في حوض البحر المتوسط الغربي[2]. تميز العصر الموحدي بازدهار الفكر والفلسفة، فرغم التشدد الظاهري لعقيدة ابن تومرت، كان الموحدون من أكبر الداعمين للفلسفة والعقلانية، فقد استقطبوا إلى بلاطهم أكبر فلاسفة الإسلام في العصور الوسطى، مثل "ابن طفيل" (المتوفى 581هـ) صاحب كتاب "حي بن يقظان" الذي كان قاضياً وطبيباً وفيلسوفاً، وابن رشد (Averroes) (المتوفى سنة 595هـ) صاحب شروح أرسطو الشهيرة الذي كان قاضي القضاة في إشبيلية وطبيباً خاصاً للخليفة يعقوب المنصور[3].

وفي العمارة ترك الموحدون إرثاً ضخماً من أبرزه: مسجد الكتبية (Koutoubia) في مراكش الذي بناه عبد المؤمن بن علي، ومسجد إشبيلية الكبير الذي لم يبق منه إلا المئذنة المعروفة باسم خيرالدا (Giralda)، وبرج حسان في الرباط، وأسوار مراكش التي جدّدوها

[1]- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص. 151؛ ابن أبي زرع، "الأنيس المطرب"، ص 186-202؛ عبد الرّحمن بن خلدون، العبر، ج. 6، ص. 305- 319؛ إبراهيم بوطالب وآخرون، تاريخ المغرب، ص. 147- 154.

[2]- ابن خلدون، العبر، ج 6، ص. 319- 330.

[3]- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص. 176- 180؛ إبراهيم بوطالب وآخرون، تاريخ المغرب، ص. 167- 168.

ووسّعوها، وقد تميّزت العمارة الموحّدية بالضّخامة والبساطة والاعتماد على الزخارف الهندسية والكتابية، وكانت المآذن مربّعة الشّكل تأثّراً بالمرابطين لكنّها أصبحت أكثر ارتفاعاً وضخامة[1].

7/- الضعف والانهيار ونهاية الدّولة الموحدية:

بعد وفاة يعقوب المنصور عام 595هـ/1199م، بدأت الدولة الموحدية تظهر عليها بوادر الضعف والتفكك، فقد تولّى الحكم من بعده أبناءه وهم صغار السن، واشتعلت الصراعات على الخلافة بين أفراد الأسرة المالكة، وتمرّدت القبائل في المغرب والأندلس، واستعادت الممالك المسيحيّة في الأندلس (قشتالة وأراغون والبرتغال وليون ونافارا) زخمها ووحّدت صفوفها[2].

وفي عام 609هـ/1212م، حدثت الكارثة الكبرى: معركة العقاب (Las Navas de Tolosa) التي هزم فيها الموحّدون هزيمة ساحقة على يد الجيوش المسيحية المتّحدة، وقتل منهم عشرات الآلاف، وانهارت هيبة الدّولة الموحدية في الأندلس نهائياً[3]. بعد هذه المعركة، بدأت الأندلس تسقط مدينة بعد مدينة في أيدي النّصارى، حيث سقطت قرطبة عام 633هـ/1236م، وإشبيلية عام 646هـ/1248م، ولم يبق للمسلمين في الأندلس إلا إمارة غرناطة الصّغيرة التي استمرت حتى عام 897هـ/1492م.

وفي المغرب، ثارت قبائل بني مرين (المرينيون) في المغرب الأقصى، وقبائل بني زيان (الزيانيون) في المغرب الأوسط (الجزائر)، وقبائل بني حفص (الحفصيون) في إفريقية (تونس)،

---

[1])- الحميري، الروض المعطار، ص 125-128؛ إبراهيم بوطالب وآخرون، تاريخ المغرب، ص. 169- 175.

[2])- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ، ص. 231 وما بعدها؛ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص. 336- 351 ؛ إبراهيم بوطالب وآخرون، تاريخ المغرب، ص. 178- 181.

[3])- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص. 235- 236؛ ابن خلدون، العبر، ج. 6، ص ص. 335- 336؛ شهبي عبد العزيز، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 80.

وتقاسموا أملاك الدّولة الموحدية فيما بينهم، وسقطت مراكش في أيدي المرينيين عام 668هـ/1269م، وبذلك انتهت الدولة الموحدية تماماً[1].

8/– إرث الموحدين في بلاد المغرب الإسلامي:

رغم أن دولة الموحدين لم تدم طويلاً (دامت حوالي قرن ونصف القرن، من 515هـ/1121م إلى 668هـ/1269م)، فإن إرثها في الغرب الإسلامي كان عميقاً ومتنوعاً. من أبرز إنجازاتهم: – القضاء على دولة المرابطين وتوحيد المغرب والأندلس تحت راية واحدة (وإن لفترة قصيرة)، – الصمود في وجه النصارى في الأندلس لعدة عقود، وتنظيم معركة العقاب رغم نتيجتها الكارثية.

– الازدهار الفكري والفلسفي، حيث كانوا من أكبر الداعمين للفلسفة والعقلانية في العالم الإسلامي، وظهر في عصرهم فلاسفة كبار مثل ابن طفيل وابن رشد.

– العمارة الضخمة حيث بنوا مساجد وأبراجاً وأسواراً لا تزال آثارها قائمة حتى اليوم في المغرب وإسبانيا، وتعتبر من أبرز معالم الحضارة الإسلامية في الغرب.

– نشر المذهب المالكي وتوحيده كمذهب رسمي في المغرب والأندلس، وهو ما استمر بعدهم في الدول التي خلفتهم (المرينيون، الزيانيون، الحفصيون، النصريون في غرناطة).

ملاحظة: مرّ على حكم دولة الموحدين منذ تأسيسها إلى غاية سقوطها حوالي أربعة عشر أميرا كما هو موضّح في الجدول التّالي[2]:

اسم الأمير	مدّة حكمه	اسم الأمير	مدّة حكمه
محمّد المهدي بن تومرت	(515– 524هـ)	**عبد الله العادل بن المنصور**	(621– 624هـ)

[1])– ابن خلدون، العبر، ج. 6، ص. 370– 397.

[2])– يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج. 1، ص. 200؛ شهبي عبد العزيز، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 86. (بتصرّف).

عبد المومن بن علي	(524- 558هـ)	يحيى المعتصم بن النّاصر	(624- 627هـ)
يوسف بن عبد المومن	(558- 580هـ)	**إدريس المأمون بن المنصور**	(627- 630هـ)
يعقوب المنصور بن يوسف	(580- 595هـ)	**عبد الواحد الرّشيد بن إدريس**	(630- 640هـ)
محمّد النّاصر بن يعقوب	(595- 610هـ)	علي السّعيد بن عبد الواحد	(640- 646هـ)
يوسف المنتصر بن محمّد	(610- 620هـ)	عمر المرتضي بن اسحاق	(646- 665هـ)
عبد الواحد المخلوع	(620- 621هـ)	**إدريس الواثق(أبودبوس) بن محمّد**	(665- 668هـ)

المحاضرة: الثّانية عشر:

الدولة الحفصية في إفريقيّة (المغرب الأدنى)

(627- 981هـ/ 1228- 1573م):

1/- أوضاع المغرب الإسلامي في مطلع القرن السابع الهجري

في مطلع القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، كان الغرب الإسلامي يشهد تحولات جذرية على جميع الأصعدة، فقد كانت دولة الموحدين التي وحدت المغرب والأندلس طيلة قرن كامل تعاني من أزمات داخلية خانقة بعد هزيمتها المدوّية في معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) على يد الجيوش المسيحية المتحدة، مما أدى إلى تفككها وانهيارها وقيام ثلاث دول إقليمية حلّت محلَّها في المغرب الإسلامي. ففي المغرب الأقصى (المغرب الحالي)، ظهرت دولة بني مرين (المرينيون)، وفي المغرب الأوسط (الجزائر الحالية)، ظهرت دولة بني زيان (الزيانيون) الذين اتخذوا من تلمسان عاصمة لهم، وفي إفريقية (تونس وشرق الجزائر الحاليين)، ظهرت الدولة الحفصيّة التي اتخذت من تونس العاصمة عاصمة لها، وكانت هذه الدول الثلاث تنازع بعضها بعضاً على تركة الموحدين، وتتصارع على النفوذ والموارد، مما أضعف المغرب الإسلامي وجعله عرضة للأخطار الخارجية[1].

2/- نسب الحفصيين:

أخذت الدّولة الحفصية اسمها من "أبي حفص عمر الهنتاتي "(أبو حفص عمر بن يحي الهنتاتي، المتوفى 571هـ/1176م)، أحد كبار قادة الموحّدين وأصحاب عبد المؤمن بن علي، وكان من "العشرة" المقربين إلى المهدي محمد بن تومرت[2]، وقد أسّس هذه الدّولة أحد أحفاده يدعى أبا زكرياء يحيى بن عبد الواحد حوالي عام 625هـ/ 1228م، عندما أعلن استقلاله عن الموحّدين الذين كانوا يعينونه حاكماً على إفريقية باسمهم[3]. يعتبر العصر الحفصي من أهم

---

[1])- ابن خلدون، العبر، ص. 370- 397.

[2])- ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقيّة وتونس، ص ص. 153- 154.

[3])- **الزّركشي: أبو عبد اللّه محمّد بن إبراهيم**، تاريخ الدّولتين الموحّدية والحفصيّة، تحقيق وتعليق: محمّد ماضور، المكتبة العتيقة – تونس، ط. 2، 1966م، ص ص. 23- 24.

العصور في تاريخ الغرب الإسلامي، لأنه شهد تحول تونس من مجرد مدينة إقليمية إلى عاصمة لدولة كبرى، وشهد ازدهاراً اقتصادياً وثقافياً كبيراً، كما شهد نزاعاً حاداً بين المذهبين المالكي (السائد في المغرب والأندلس) والمذهب الحنفي (الذي حاول بعض الحفصيين فرضه)، وشهد أيضاً وصول أعداد كبيرة من الأندلسيين (المسلمين واليهود) الفارين من سقوط الأندلس في أيدي النصارى، مما أثرى الحياة الفكرية والاقتصادية في الدولة الحفصية[1].

3/- أبو زكرياء يحيى وقيام الدّولة الحفصية:

يعتبر أبو زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص (المتوفى 647هـ/1249م) المؤسّس الحقيقي للدّولة الحفصية، فهو أول من أعلن استقلاله عن الموحدين وأول من اتخذ لقب أمير، وأوّل من جعل من تونس عاصمة لدولته[2]. كان أبو زكرياء يحيى حفيد أبي حفص عمر الهنتاتي، وقد ولد حوالي عام 600هـ/1203م، ونشأ في كنف الدّولة الموحديّة وتعلّم الفقه والقيادة العسكرية على أيدي كبار رجالها. وفي عام 620هـ/1223م، ولاه الخليفة الموحدي محمد المهدي بن تومرت على إفريقية، وكان في ذلك الوقت شاباً لم يتجاوز العشرين من عمره، لكنه أظهر كفاءة عالية في الحكم والإدارة[3]. في عام 625هـ/1228م، وبينما كانت الدولة الموحديّة تتهاوى في المغرب الأقصى بسبب الصراعات الداخلية وهجمات المرينيين، قرر أبو زكرياء أن يعلن استقلاله عن الموحدين، وأن يؤسس دولته الخاصة التي تمتد من طرابلس غرباً (ليبيا) إلى بجاية شرقاً (الجزائر). وقد اتخذ من تونس عاصمة لدولته، وأضاف إلى اسمه لقب "أمير المسلمين"[4].

لم يواجه أبو زكرياء مقاومة تذكر من الموحدين الذين كانوا مشغولين بحروبهم الداخلية، فتمكن بسرعة من ترسيخ دعائم دولته، وقام بعدة إنجازات مهمة:

---

[1])- ابن خلدون، "العبر"، ج. 6، ص. 286-287.

[2])- ابن عذاري، "البيان المغرب"، ج. 4، ص. 125-126.

[3])- ابن أبي زرع، "الأنيس المطرب"، ص. 202-203.

[4])- ابن خلدون، "العبر"، ج. 6، ص. 287-288

– **أولاً**، أخضع القبائل المتمردة في إفريقية (خاصة القبائل العربية التي كانت تغير على القرى والمدن)، وفرض النظام والأمن في جميع أنحاء دولته.

– **ثانياً**، عقد معاهدات تجارية مع الجمهوريات الإيطالية (بيزا، جنوة، البندقية، مرسيليا) ومع مملكة أراجون، مما جعل تونس مركزاً تجارياً حيوياً في حوض البحر المتوسط، وأدى إلى ازدهار الاقتصاد الحفصي بشكل كبير[1].

– **ثالثاً**، قام بتوسيع دولته شرقاً وغرباً، فسيطر على بجاية وقسنطينة وطرابلس، وامتدت دولته حتى حدود مصر الأيوبية، كما امتد نفوذه غرباً إلى تلمسان، وأصبحت دولته من أقوى دول المنطقة.

– **رابعاً**، اهتم بالعمارة والبناء، فجدد أسوار تونس، وبنى القصور والمساجد والمدارس، وجعل من تونس مدينة تليق بعاصمة دولة كبرى[2]. يقول ابن خلدون في "العبر" (ج 6، ص 288): "وكان أبو زكرياء من أعظم ملوك بني حفص، جمع شملهم، وأخمد فتنهم، وأذل أعداءهم، وعمر البلاد، وأحسن السيرة في الرعية، وكانت دولته غرة في جبين الزّمان"[3].

4/– المستنصر بالله وعصر القوّة والازدهار:

بعد وفاة أبي زكرياء يحيى عام 647هـ/1249م، تولى الحكم من بعده ابنه "أبو عبد الله محمد المستنصر بالله" (المتوفى 675هـ/1277م)، وهو الذي يعتبره معظم المؤرخين أقوى وأعظم ملوك الدولة الحفصية، والذي بلغت في عهده الدولة ذروة ازدهارها وقوتها واتساعها[4]. كان المستنصر شاباً طموحاً، ذكياً فطناً، حازماً قوياً، وقد واصل مسيرة والده في بناء الدولة وتوسيعها، فتمكن من مدّ نفوذه شرقاً حتى طرابلس وبرقة (ليبيا)، وغرباً حتى بجاية والجزائر

[1]– ابن عذاري، "البيان المغرب"، ج. 4، ص. 128–129.

[2]– الحميري، الرّوض المعطار، ص ص. 145–146.

[3]– ابن خلدون، "العبر"، ج 6، ص 288.

[4]– ابن عذاري، "البيان المغرب"، ج. 4، ص. 128–129.

العاصمة، وشمالاً حتى البحر المتوسط، وأصبحت دولته تمتد على طول الساحل الإفريقي الشمالي لمسافة تزيد عن ألف كيلومتر[1].

وفي عام 658هـ/1260م تقريباً، اتخذ المستنصر خطوة جريئة ومهمة: فقد أعلن نفسه "خليفة" للمسلمين، وتخلّى عن أي تبعية رمزية للخلافة العبّاسيّة في بغداد (التي كانت قد سقطت على يد المغول عام 656هـ/1258م)، وأمر بإسقاط اسم الخليفة العباسي من الخطبة وضرب السّكة باسمه هو، واتخذ لقب "أمير المؤمنين"[2]. وقد اعترفت به العديد من الدّول في العالم الإسلامي كخليفة شرعي، مما زاد من هيبته ومكانته الدولية. ومن بين الّذين اعترفوا به سلطان مصر المملوكي "الظاهر بيبرس"، الذي كان ينافسه على زعامة العالم الإسلامي لكنه اضطر للاعتراف بقوته.

في عام 668هـ/1270م، واجه المستنصر أكبر تحدٍّ في عهده، عندما شنّ ملك فرنسا "لويس التاسع" (القديس لويس) حملة صليبية على تونس، ونزل بجيش كبير على ضواحي المدينة، وكان هدفه إجبار المستنصر على اعتناق المسيحية، أو على الأقل إخضاع تونس للنفوذ الفرنسي[3]. لكنّ المستنصر تمكّن من صدّ الهجوم الفرنسي بفضل حصانة أسوار تونس، ومرض الطّاعون الّذي فتك بالجيش الفرنسي وأودى بحياة الملك لويس التاسع نفسه داخل أسوار تونس، واضطر الجيش الفرنسي إلى الانسحاب بعد أن عقد هدنة مع المستنصر، وكان هذا النصر العسكري والسياسي إنجازاً كبيراً رفع من مكانة المستنصر والحفصيين في كل أنحاء العالم[4]. يصف ابن عذاري هذا الحدث في "البيان المغرب" (ج 4، ص 130): "فلما نزل الفرنج على تونس، خرج إليهم المستنصر بنفسه في جيشه، فضربهم ضربة أذهلتهم، وأصابهم

---

[1]- ابن خلدون، "العبر"، ج. 6، ص. 290-291.

[2]- ابن أبي زرع، "الأنيس المطرب"، ص. 205-206.

[3]- ابن عذاري، "البيان المغرب"، ج. 4، ص. 130-131.

[4]- ابن خلدون، "العبر"، ج 6، ص. 292-293.

الوباء فهلك أكثرهم، ومات ملكهم لويس في عسكره، فانصرفوا خائبين"[1]. في عهد المستنصر، ازدهرت تونس ازدهاراً عمرانياً وثقافياً وفكرياً غير مسبوق، فقد بنى القصور والمساجد (منها جامع القصبة الذي يعتبر تحفة معمارية فريدة)، واهتم بالعلم والعلماء، وجذب إلى بلاطه كبار المفكرين والأدباء من كل أنحاء المغرب والأندلس[2].

5/- هجرة الأندلسيين إلى تونس وأثرهم في الجانب الثّقافي والاقتصادي:

شهد العصر الحفصي (خاصة في القرنين السابع والثامن الهجريين/الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين) موجة هجرة كبيرة من الأندلسيين (المسلمين واليهود على حد سواء) الفارين من سقوط المدن الأندلسية تباعاً في أيدي النصارى، فقد سقطت قرطبة عام 633هـ/1236م، وسقطت إشبيلية عام 646هـ/1248م، وسقطت بلنسية ومرسية بعد ذلك، وكان الحفصيون يرحّبون بالأندلسيين ويشجّعونهم على الاستقرار في تونس وغيرها من مدن دولتهم، لأنهم كانوا يدركون قيمة هؤلاء المهاجرين وما يمكن أن يقدّموه من خبرات ومهارات وحرف وعلوم[3].

استقر الأندلسيون في تونس بأعداد كبيرة، وأسسوا أحياء خاصة بهم (منها حي "الأندلس" في تونس العاصمة)، وأسهموا بشكل كبير في ازدهار الدولة الحفصية اقتصادياً وثقافياً وفكرياً. يقول ابن خلدون في مقدمته: "ولقد كان للأندلسيين فضل عظيم على إفريقية في العمران والصنائع والعلوم، فهم الذين أدخلوا إليها أنواع الحرف الدقيقة وأساليب الزراعة المتقنة"[4]. اقتصادياً، أدخل الأندلسيون إلى تونس حرفاً وصناعات جديدة لم تكن معروفة من قبل، مثل: صناعة الورق (التي كانت صناعة أندلسية متطورة)، وصناعة الحرير والمنسوجات الفاخرة، وصناعة الخزف المزخرف، وصناعة الآلات الفلكية والبحرية، كما ساهموا في تطوير

---

[1])- ابن عذاري، "البيان المغرب"، ج. 4، ص. 130.

[2])- الحميري، "الروض المعطار"، ص. 147- 148.

[3])- ابن خلدون، "العبر"، ج 6، ص. 295- .296.

[4])- **ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد**، المقدمة، تحقيق عبد السلام الشّدادي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولى، 2005م، ص. 320- 321.

الزراعة في ضواحي تونس، وأدخلوا محاصيل زراعية جديدة (كالحمضيات والرمان والزيتون) وطوروا أساليب الري[1].

ثقافياً وفكرياً، كان الأندلسيون من أكثر الشعوب تعليماً وثقافة في ذلك العصر، فقد كانوا يحملون معهم كنوزاً من الكتب والمخطوطات، وكانوا يتقنون اللغة العربية ويتذوقون الشعر والأدب، وكانوا بارعين في العلوم (الطب، الفلك، الرياضيات، الهندسة) والفلسفة والفقه، فجذبهم الحفصيون إلى بلاطهم وجعلوهم مستشارين وقضاة ووزراء وأطباء[2]. وقد كان ابن خلدون نفسه (المؤرّخ الأشهر) من أصول أندلسية، فقد هاجر أجداده من إشبيلية إلى تونس قبل أن يولد هو فيها، وعاش في بلاط الحفصيين فترة من الزّمن قبل أن يشدّ الرحال إلى مصر. كما ساهم الأندلسيّون اليهود (الذين هاجروا بأعداد كبيرة بعد سقوط غرناطة عام 897هـ/1492م) في تنشيط التّجارة بين تونس وأوروبا، حيث كانت لهم شبكات تجارية واسعة في إيطاليا وفرنسا وإسبانيا، وكانوا يتولّون منصب "الصاحب" (وهو أشبه بوزير المالية والتّجارة) في بلاط الحفصيين في بعض الفترات[3].

6/- العمارة والفنون في العصر الحفصي (الطابع الأندلسي المغربي):

تميز العصر الحفصي بازدهار العمارة والفنون، وتأثرت العمارة الحفصية تأثراً كبيراً بالطرازين الأندلسي (بسبب هجرة الأندلسيين) والموحّدي (بسبب أصول الحفصيين من الموحّدين)، فكانت المباني الحفصية تجمع بين البساطة والضخامة من ناحية، وبين الزّخرفة الدّقيقة والجميلة من ناحية أخرى[4]، وكانت تعتمد على العناصر المعمارية التالية: القوس حدوة الفرس (Horseshoe Arch) الذي كان منتشراً في الأندلس والمغرب، والقوس المتجاوز (المتداخل)، والزّخارف الجصّية المنقوشة (التي تحمل آيات قرآنية وعبارات مدح للخلفاء)،

[1]- ابن أبي زرع، "الأنيس المطرب"، ص. 210-211.

[2]- ابن عذاري، "البيان المغرب"، ج. 4، ص. 135-136.

[3]- ابن خلدون، "العبر"، ج. 6، ص. 298-299.

[4]- ابن خلدون، "العبر"، ج. 6، ص. 300-301.

والزخارف الخشبية المنحوتة (التي كانت تزين الأسقف والمنابر)، والمآذن المربعة الشكل (تأثراً بالموحدين). وقد اهتم الحفصيون ببناء المدارس (المدارس الفقهية) أكثر من اهتمامهم ببناء المساجد الضخمة، لأنهم كانوا يرون أن نشر العلم وتخريج الفقهاء هو أهم وسيلة لترسيخ دعائم دولتهم[1]. من أشهر المباني الحفصية التي لا تزال قائمة حتى اليوم نجد:

– **جامع القصبة** في تونس (الذي بناه الخليفة المستنصر حوالي عام 670هـ/ 1272م)، ويعتبر هذا الجامع تحفة معمارية فريدة، فهو يجمع بين المئذنة المربعة الضخمة (المتأثرة بالطراز الموحدي) وقاعة الصلاة ذات الأعمدة الرخامية الجميلة، والمحراب المزخرف بالفسيفساء والزليج، والمنبر الخشبي المنحوت الذي يعتبر من روائع الفن الإسلامي[2].

– **باب اللاّلة ريانة** (أو باب اللاّلة رحانة) الذي أضيف إلى الجامع الكبير بالقيروان عام 694هـ/1294م، وهو باب ضخم مزخرف بالزخارف الهندسية والنباتية والكتابية (بخط كوفي جميل)، ويعتبر من أجمل الأبواب في العمارة الإسلامية في الغرب[3].

– **أسوار تونس** التي جدّدها ووسّعها الحفصيون، وأضافوا إليها أبراجاً وحصوناً دفاعية (منها برج "حلق الوادي" الذي كان يحرس مدخل المدينة من البحر).

– **المدارس الحفصية:** مثل المدرسة المستنصرية والمدرسة الحفصية والمدرسة العبدلية التي كانت تعج بالفقهاء والطلاب من كل أنحاء الغرب الإسلامي، وكانت تدرس فيها المذاهب الأربعة (المالكي والحنفي والشافعي والحنبلي) على الرغم من غلبة المذهب المالكي[4]. يصف الحميري في "الروض المعطار" (ص 146) مدينة تونس في العصر الحفصي قائلاً: "ولها

[1]– ابن أبي زرع، "الأنيس المطرب"، ص 215–216.

[2]– ابن عذاري، "البيان المغرب"، ج 4، ص 132–133

[3]– الحميري، "الروض المعطار"، ص 148.

[4]– ابن خلدون، "العبر"، ج 6، ص 302–303.

أسوار منيعة، وقصور شاهقة، وأسواق حسنة، وجوامع ومدارس كثيرة، وهي من أجل مدن المغرب وأحسنها بناء[1].

7/- ضعف وانهيار الدّولة الحفصيّة:

بعد وفاة المستنصر عام 675هـ/ 1277م دخلت الدولة الحفصية في مرحلة طويلة من الصّراعات الدّاخلية على الحكم، حيث تنازع أبناء الأسرة الحاكمة والوزراء والقادة العسكريين على الخلافة، وتتابع على حكم الدّولة عشرات الخلفاء في فترة قصيرة (بعضهم حكم لأشهر أو سنوات قليلة فقط)، ممّا أضعف الدولة بشكل كبير وأدى إلى تفكّكها وتمزّقها[2]. يقول ابن خلدون في "العبر" (ج 6، ص. 310): "وبعد المستنصر دخل بنو حفص في فتن عظيمة، وتنازعوا الملك، وكثرت الفتن والقلاقل، وضعفت الدولة، وضاعت الرعية"[3]. كما تعرضت الدّولة الحفصية لغزوات متكرّرة من جيرانها، خاصة من دولة بني مرين في المغرب الأقصى الّذين كانوا يحاولون فرض سيطرتهم على المغرب الأدنى (تونس) وشرق المغرب الأوسط (الجزائر)، وكان لهذه الغزوات آثارا مدمّرة على الدّولة (استنزاف مواردها وارهاق جيشها)[4].

وفي القرن العاشر الهجري (السّادس عشر الميلادي)، دخلت الدولة الحفصية في صراع وجودي حقيقي بين قوتين عظميين تتنازعان السيطرة على حوض البحر المتوسط :القوة الإسبانية (المسيحية) والقوة العثمانية (الإسلامية). فقد كانت إسبانيا بقيادة الملك فرديناند الثاني والملكة إيزابيلا الأولى، ثم من بعدهما الإمبراطور شارلكان، تسعى إلى إقامة حصون وقواعد على الساحل الإفريقي لمحاربة القراصنة المسلمين (ما عُرف بقراصنة البحر المتوسط أو الأسطول الجهادي) الذين كانوا يهاجمون السواحل الإسبانية ويستولون على السفن المسيحية[5].

---

[1]- الحميري، الروض المعطار، ص. 146.

[2]- ابن عذاري، البيان المغرب، ج 4، ص. 140-142.

[3]- ابن خلدون، العبر، ج 6، ص. 310.

[4]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص. 220-222.

[5]- ابن خلدون، العبر، ج 6، ص. 315-316.

في عام 939هـ/1534م، تمكن خير الدين بربروس (قائد الأسطول العثماني) من دخول تونس وإسقاط السلطان الحفصي مولاي حسن، وأعلن تبعية تونس للدولة العثمانية، لكن الإمبراطور شارلكان قاد حملة عسكرية ضخمة في العام التالي (1535م) وتمكن من استعادة تونس وإعادة السلطان مولاي حسن إلى عرشه، لكنه جعل تونس تحت الحماية الإسبانية، وأقام فيها حامية إسبانية في قلعة "حلق الوادي"[1]. ظلت الدولة الحفصية موجودة اسمياً (ولكن تحت السيطرة الإسبانية) حتى عام 982هـ/1574م، عندما تمكن العثمانيون بقيادة "أولج علي باشا Uluç) " (Ali Paşa من طرد الإسبان من تونس وضمها بالكامل إلى الدولة العثمانية، وبذلك انتهت الدولة الحفصية نهائياً بعد أن دامت حوالي ثلاثة قرون ونصف القرن (625-982هـ/ 1228-1574م).

8/- إرث الحفصيين في تاريخ المغرب الإسلامي:

رغم أن الدولة الحفصية انتهت بالضّم إلى الدولة العثمانية، فإن إرثها في الغرب الإسلامي ظل حاضراً لقرون طويلة بعد زوالها، ومازالت آثاره ملموسة حتى يومنا هذا في تونس وليبيا والجزائر[2]، من أبرز إنجازات وإرث الحفصيين:

- **تأسيس دولة تونس الحديثة،** فقد كان الحفصيون هم أوّل من جعل من تونس عاصمة لدولة مستقلة ذات سيادة، ووضعوا أسس الكيان السياسي التونسي الذي استمر بأشكال مختلفة حتى العصر الحديث.

- **الازدهار الاقتصادي والتجاري،** فقد جعلوا تونس مركزاً تجارياً عالمياً يربط بين إفريقيا وأوروبا والمشرق الإسلامي، وكانت عملاتهم الذهبية (الدنانير الحفصية) من أكثر العملات تداولاً وقيمة في حوض البحر المتوسط.

---

[1])- ابن عذاري، "البيان المغرب"، ج 4، ص 145-146.

[2])- ابن خلدون، "العبر"، ج 6، ص 318-319.

– **النهضة الفكرية والثقافية،** فقد استقطب الحفصيون إلى بلاطهم كبار العلماء والمفكرين والأدباء من كل أنحاء العالم الإسلامي، وكان من أبرزهم المؤرخ الكبير ابن خلدون (الذي خدم في بلاطهم قبل انتقاله إلى مصر)، والشاعر والأديب "ابن رشيق القيرواني"، والفيلسوف "ابن سبعين"، والفلكي "ابن البناء المراكشي"، وغيرهم.)

– **العمارة والتحف الفنية،** فقد ترك الحفصيون إرثاً معمارياً ضخماً لا تزال آثاره قائمة في تونس العاصمة والقيروان والمهدية وبجاية وقسنطينة، من مساجد ومدارس وأسوار وقصور وجسور، وتعتبر هذه الآثار من أهم معالم الحضارة الإسلامية في الغرب.

– **استقبال الأندلسيين،** فقد كان الحفصيون من أكثر الدول ترحيباً بالأندلسيين الفارين من النصارى، مما ساهم في نقل التراث الأندلسي (العلمي والثقافي والحرفي والزراعي) إلى تونس، وأثرى الحياة فيها بشكل كبير[1]. يختتم ابن خلدون حديثه عن الحفصيين في "العبر" (ج 6، ص 320) قائلاً: "وكانت دولة بني حفص من أجل دول المغرب وأحسنها سيرة، عمروا البلاد، وأكرموا العلماء، ونشروا العدل، وكانت دولتهم دولة ملك ودين، جزاهم الله خيراً"[2].

[1])– ابن عذاري، "البيان المغرب"، ج. 4، ص. 150–152.

[2])– ابن خلدون، "العبر"، ج. 6، ص. 320.

المحاضرة: الثّالثة عشر:

الدولة الزّيانية في المغرب الأوسط (الجزائر)

(634- 962هـ/ 1236- 1554م):

- تمهيد:

شهد المغرب الإسلامي تحوّلات جذريّة على جميع الأصعدة كما ذكرنا سابقا وهذا جرّاء انهزام الموحّدين في واقعة حصن العقاب بالأندلس أمام التّحالف النّصراني سنة 609هـ/ 1212م، لذلك نجد أنّ هذه الدّولة (الموحديّة) وبعد هذه الواقعة (حصن العقاب) قد دخلت في سلسلة من الأزمات الدّاخلية الّتي عجّلت بسقوطها وانهيارها لتقوم على أنقاضها كما ذكرنا ثلاث كيانات سيّاسية جديدة ببلاد المغرب الإسلامي، منها الدّولة الزّيانية أو دولة بني عبد الواد في المغرب الأوسط والّتي اتّخذ حكّامها من تلمسان عاصمة لهم.

والزّيانيّون أو بني عبد الواد هم فرع من قبيلة زناتة البربرية الكبيرة التي كانت تسكن المنطقة الممتدة بين تلمسان وتيارت، وكانوا معروفين بالقوّة والشّجاعة والفروسيّة، وكان لهم تاريخ طويل من الولاء للموحدين قبل أن يعلنوا استقلالهم[1]. تعود البوادر الأولى لاستقلال المغرب الأوسط عن الموحدين إلى أمير تلمسان جابر بن يوسف شيخ قبيلة بني عبد الواد الزّيانيّة الّذي أظهر نواياه لأجل الانفصال بالمغرب الأوسط عن الموحّدين عام 627هـ/ 1230م، ليأتي الدّور من بعده على الأمير "يغمراسن بن زيان بن ثابت" الّذي تولّى السّلطة حوالي عام 633هـ/1236م، ويعلن استقلاله النّهائي عن الموحدين، وتمكّن من توحيد قبائل زناتة تحت رايته، وبناء دولة قوية صمدت لأكثر من ثلاثة قرون (633-962هـ / 1236-1554م)[2].

---

[1])- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص. 230-231.

[2])- **فيلالي عبد العزيز**، تلمسان في العهد الزّياني، موفم للنّشر والتّوزيع- الجزائر، 2002م، ج. 1، ص ص. 15- 16؛ شهبي عبد العزيز، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 94.

1/- يغمراسن بن زيان وجهوده في بناء الدّولة الزّيانيّة:

يعتبر "يغمراسن بن زيان" (633- 681هـ/ 1236- 1283م) المؤسس الحقيقي للدّولة الزيانية، فهو أول من أعلن استقلاله عن الموحدين وأول من اتخذ لقب "أمير المسلمين "وأول من جعل من تلمسان عاصمة لدولته[1]. ولد يغمراسن بن زيان حوالي عام 603هـ/1206م، وينتمي إلى بني عبد الواد (أحد فروع قبيلة زناتة البربرية)، وكان والده "زيان بن ثابت" من كبار قادة الموحدين في المغرب الأوسط، وقد ورث يغمراسن عن أبيه حب القيادة والدّهاء السّياسي والشجاعة العسكرية[2]. في عام 633هـ/1236م، وبينما كانت الدولة الموحدية تتهاوى في المغرب الأقصى وتفقد سيطرتها على أقاليمها، كان يغمراسن يشغل منصب والي الموحدين على تلمسان وما حولها، فقرر أن يعلن استقلاله عن الموحدين، وأن يؤسس دولته الخاصة التي تمتد من تلمسان شرقاً إلى تيارت ووهران غرباً، ومن البحر المتوسط شمالاً إلى الصحراء الكبرى جنوباً[3].

لم يواجه يغمراسن مقاومة تذكر من الموحدين الذين كانوا مشغولين بحروبهم الداخلية، فتمكن بسرعة من ترسيخ دعائم دولته، وقام بعدة إنجازات مهمة:

- أولاً، وحد قبائل زناتة المتناحرة تحت رايته، وأخضع القبائل المتمردة التي كانت تهدد أمن الدولة، وفرض النظام والأمن في جميع أنحاء دولته.

- ثانياً، بنى أسواراً قوية حول مدينة تلمسان لحمايتها من غزوات الأعداء، وجعلها عاصمة حصينة لا يمكن اقتحامها بسهولة، ولا تزال أجزاء من هذه الأسوار قائمة حتى اليوم[4].

---

[1]- ابن خلدون، "العبر"، ج. 6، ص. 390- 391؛ ابن خلدون، العبر، ج. 7، ص ص. 105- 106.

[2]- **يحيى بن خلدون: أبو زكرياء يحيى بن محمد،** "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد"، الجزء الثاني، مطبعة بونطانة، الجزائر، الطبعة الأولى، 1910م، ص. 5- 6.

[3]- فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزّياني، ج. 1، ص ص. 13- 14.

[4]- الحميري، الروض المعطار، ص ص. 155-156.

– ثالثاً، عقد معاهدات تجارية مع الجمهوريات الإيطالية (جنوة وبيزا والبندقية) ومع مملكة أراجون، مما جعل تلمسان مركزاً تجارياً حيوياً يربط بين أفريقيا جنوب الصحراء (الذهب والملح والعبيد) وأوروبا (المنسوجات والمعادن والسلاح) والمشرق الإسلامي (التوابل والحرير والكتب)، وكانت تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى المصدر الرئيسي لثروة الدولة الزيانية.

– رابعاً، اهتم بالعمارة والبناء، فبنى المساجد والمدارس والزوايا والقصور، وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة التي كانت تدر دخلاً كبيراً يستخدم في صيانتها وتشغيلها وإطعام الفقراء والطلاب.

2/– تلمسان عاصمة العلم والتجارة في المغرب الأوسط:

كانت مدينة تلمسان (Tlemcen) في العصر الزياني واحدة من أجمل مدن الغرب الإسلامي وأغناها وأكثرها ازدهاراً، وقد وصفها الجغرافيون والمؤرّخون القدامى بأنها "لؤلؤة المغرب" و"قرطبة الصغرى" لجمال عمارتها وكثرة مساجدها ومدارسها وعلمائها وأدبائها[1]. تقع تلمسان في موقع استراتيجي ممتاز، فهي على ارتفاع حوالي 800 متر فوق سطح البحر، في منطقة خصبة تكثر فيها المياه والينابيع والغابات، وتحيط بها الجبال من كل جانب مما يجعلها حصناً طبيعياً منيعاً، كما أنها تقع على مفترق طرق التجارة بين المغرب الأقصى والمشرق الإسلامي وبين البحر المتوسط (ميناء هنين أو وهران) وغرب أفريقيا (طريق الذهب عبر سجلماسة)، وهذا الموقع جعلها قبلة للتجار من كل أنحاء العالم المعروف في ذلك الوقت، يقول عنها الحميري في روضه: "وتلمسان من أحسن مدن المغرب وأكثرها خيراً وبركة، بها المياه الجارية والبساتين والجنات، وأسواقها عامرة، ومساجدها كثيرة، وأهلها تجار إلى كل بلد"[(2)].

وقد اهتم السلاطين الزيانيون بتلمسان اهتماماً كبيراً، فبنوا فيها الأسوار العالية والحصون المنيعة لحمايتها من غزوات المرينيين (من الغرب) والحفصيين (من الشرق) والإسبان (من الشمال)، وبنوا فيها المساجد الكبيرة والجوامع الفخمة، من أشهرها :

---

[1])– الحميري، "الروض المعطار"، ص ص. 155– 156.

[2])– الحميري، "الروض المعطار"، ص. 155.

- **الجامع الكبير في تلمسان** الذي بناه يغمراسن بن زيان وجدده من بعده السلطان أبو حمو موسى الأول، ويعتبر هذا الجامع تحفة معمارية فريدة تجمع بين الطرازين المرابطي والموحدي، وله مئذنة مربعة ضخمة تشبه مئذنة جامع الكتبية في مراكش.

- **المدرسة التاشفينية** التي بناها السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو عام 722هـ/1322م، وهي من أقدم المدارس في المغرب العربي وأجملها، وكانت تدرس فيها المذاهب الأربعة (المالكي والحنفي والشافعي والحنبلي) على الرغم من غلبة المذهب المالكي.
- **زاوية سيدي أبي مدين** التي بناها السلطان أبو حمو موسى الثاني وأوقف عليها أوقافاً كثيرة، وكانت هذه الزاوية مركزاً دينياً وروحياً مهماً يجذب الزوار والطلاب من كل مكان.

اقتصادياً، اشتهرت تلمسان بصناعات متعددة: صناعة المنسوجات (الصوف والكتان والحرير) التي كانت تصدر إلى أوروبا وإفريقيا، وصناعة الخزف والفخار (الزليج والجرار)، وصناعة الجلود (المدابغ)، وصناعة المعادن (النحاس والحديد والفضة)، وصناعة الأسلحة (السيوف والخناجر والدروع)[1]. كما اشتهرت تلمسان بأسواقها المزدحمة التي كانت تعج بالبضائع من كل مكان، وكان من أشهر هذه الأسواق: "سوق القصبة" و"سوق العطارين" (لبيع العطور والأدوية والأعشاب) و"سوق الصياغين" (لبيع الذهب والفضة والمجوهرات) و"سوق النجارين" و"سوق الحدادين" و"سوق الجلود".

3/- الصّراع بين الزّيانيين والمرينيين - دفاع متواصل عن الاستقلال-:

لم تعش الدولة الزيانية في سلام طويل، فقد كانت منذ نشأتها الأولى مهدّدة من جارتها الغربية "دولة بني مرين" في المغرب الأقصى، الذين كانوا يطمعون في ضمّ تلمسان إلى ملكهم والسيطرة على طرق التّجارة العابرة للصحراء، وخاض الجانبان حروباً طويلة ومعارك دامية استمرت لعقود طويلة، وكانت تلمسان تتعرض لحصار متكرّر من جيوش المرينيين، لكنها

[1])- يحيى بن خلدون، "بغية الرواد"، ج. 2، ص ص. 15- 16؛ عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ص. 317-357.

كانت تصمد بفضل أسوارها المنيعة وشجاعة سكانها وولائهم لسلاطينهم[1]. ومن أشهر هذه الحصارات الّتي تعرّضت لها هذه المدينة حصار تلمسان (699-706هـ/1299-1307م) الذي فرضه السلطان المريني "أبو يعقوب يوسف بن يعقوب" (المتوفى 706هـ)، واستمر هذا الحصار سبع سنوات كاملة، وبنى المرينيون خلاله مدينة جديدة بالقرب من تلمسان أسموها "المنصورة" (al-Mansurah)، وجعلوها قاعدة انطلاق لهجماتهم على تلمسان، وقد كان الحصار شديداً لدرجة أنّ أهل تلمسان أشرفوا على الموت جوعاً وعطشاً، لكنهم صمدوا بفضل صمود سلطانهم "أبو سعيد عثمان بن يغمراسن" (المتوفى 703هـ)، وفي النهاية رفع المرينيون الحصار بعد أن اغتيل السلطان أبو يعقوب في خيمته على يد أحد خصومه[2].

بعد رفع الحصار قام السلطان الزياني "أبو حمو موسى الأول" (المتوفى 718هـ) بهدم مدينة المنصورة التي بناها المرينيون، لكي لا تكون قاعدة لهم في المستقبل، وأعاد بناء ما هدمته حروب المرينيين من أسوار تلمسان وقصورها ومساجدها[3]. استمر الصراع بين الزيانيين والمرينيين طوال القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)، وكانت الغلبة تارة للزيانيين وتارة للمرينيين، ودخلت تلمسان في فترة من الضعف في منتصف القرن الثامن الهجري عندما تمكن المرينيون من احتلالها لفترة وجيزة (حوالي 1352-1359م)، لكن الزيانيين تمكنوا من استعادتها بعد ذلك بقيادة السلطان "أبو حمو موسى الثاني" (المتوفى 791هـ)، الذي يعتبر من أعظم سلاطين الدولة الزيانية بعد مؤسسها[4].

4/- أبو حمو موسى الثاني وعصر النّهضة والازدهار في الدّولة الزّيانية:

يعتبر السلطان "أبو حمو موسى الثاني بن أبي يعقوب يوسف" (المتوفى 791هـ/1389م) من أعظم سلاطين الدولة الزيانية، بل يعتبره بعض المؤرخين مجدد الدولة

---

[1]- شهبي عبد العزيز، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 102.

[2]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزّياني، ص ص. 27- 28.

[3]- يحيى بن خلدون، "بغية الرواد"، الجزء الثاني، ص 20-22

[4]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزّياني، ص. 45- 52.

بعد فترة الضعف التي تعرضت لها في منتصف القرن الثامن الهجري، وقد بلغت في عهده الدولة الزيانية ذروة ازدهارها وقوتها واتساعها[1]. تولى أبو حمو موسى الثاني الحكم بعد أن استعاد تلمسان من أيدي المرينيين حوالي عام 761هـ/1359م، وكان شاباً طموحاً، ذكياً فطناً، حازماً قوياً، محبوباً من طرف جنوده ورعيّته، فتمكن بسرعة من إعادة بناء الدّولة وتوسيعها، فامتدت حدودها في عهده شرقاً حتى بجاية وقسنطينة، وغرباً حتى فاس وتلمسان، وشمالاً حتى البحر المتوسط، وجنوباً حتى الصحراء الكبرى وسجلماسة[2]. ومن أهمّ إنجازاته:

– **إعادة بناء أسوار تلمسان وترميمها**، بعد أن دمرتها حروب المرينيين، وجعلها من أمنع مدن المغرب.

– **بناء المساجد والمدارس والزوايا**، من أشهرها زاوية سيدي أبي مدين التي جددها وأوقف عليها أوقافاً كثيرة، والمدرسة اليوسفية التي كانت منارة للعلم في المغرب الأوسط.

– **الاهتمام بالعلم والعلماء**، فجذب إلى بلاطه كبار العلماء والمفكرين والأدباء من كل أنحاء الغرب الإسلامي، وكان من أبرزهم المؤرخ الكبير ابن خلدون (الذي خدم في بلاطه فترة من الزمن قبل أن يشد الرحال إلى مصر)، وأخوه يحيى بن خلدون (صاحب كتاب "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد") الذي كان وزيراً وقاضياً ومؤرخاً في بلاطه.

– **الاهتمام بالتجارة والاقتصاد**، فعقد معاهدات تجارية مع الجمهوريات الإيطالية ومملكة أراغون، وازدهرت تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى بشكل كبير في عهده.

– **الصمود أمام هجمات المرينيين**، وتمكن من صد عدة حملات مرينية على تلمسان، وحافظ على استقلال دولته.

---

[1])– عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزّياني، ص. 55– 59.

[2])– يحيى بن خلدون، "بغية الرواد"، الجزء الثاني، ص. 30–32.

ويذكر المؤرخون أنّ أبا حمّو موسى الثاني كان شاعراً أديباً أيضاً، له شعر رقيق في الغزل والحكمة والمدح، وقد جمع شعره في ديوان صغير، ومن شعره قوله كما نقل يحيى بن خلدون في "بغية الرواد":

ألا إنما الدنيا متاع يزينها ... لصاحبها حتى يغر فيغتر

فمن نال منها صفوة العيش لم يزل ... هموم تراميه وغم يكدّر[1].

توفي أبو حمو موسى الثاني عام 791هـ/1389م، بعد أن حكم حوالي ثلاثين عاما، وكانت دولته في أوجّ عظمتها، وخلفه من بعده أولاده وأحفاده الذين تناوبوا على الحكم، لكن الدولة بدأت تضعف تدريجياً بسبب الصّراعات الداخلية على الحكم بين أفراد الأسرة المالكة[2].

5/- ضعف الدّولة الزّيانية وانهيارها:

بعد وفاة أبي حمو موسى الثاني عام 791هـ/1389م، دخلت الدّولة الزيانية في مرحلة طويلة من الصّراعات الداخلية على الحكم، حيث تنازع أبناء الأسرة الحاكمة والأمراء والوزراء على السلطة، وتتابع على حكم الدولة عشرات السّلاطين في فترة قصيرة (بعضهم حكم لأشهر أو سنوات قليلة فقط)، مما أضعف الدولة بشكل كبير وأدى إلى تفككها وتمزقها[3]، وفي أواخر القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) وأوائل القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، دخلت الدولة الزيانية في صراع وجودي حقيقي بين قوّتين عظميين تتنازعان السيطرة على حوض البحر المتوسط: القوّة الإسبانية (المسيحية) والقوّة العثمانية (الإسلامية).

فقد كانت إسبانيا بعد سقوط غرناطة عام 897هـ/1492م، تسعى إلى توسيع سيطرتها على السواحل الإفريقية، واحتلت عدة مدن ساحلية في المغرب الأوسط، من أشهرها: وهران

---

[1])- يحيى بن خلدون، "بغية الرواد"، ج. 2، ص 35-36.

[2])- ابن خلدون، "العبر"، ج. 7، ص. 191- 195.

[3])- ابن خلدون، "العبر"، ج. 7، ص. 194- 198.

التي احتلها الإسبان عام 915هـ/1509م، والمرسى الكبير، وبجاية (التي سقطت عام 1510م)، وكان الإسبان يشنون غارات متكررة على تلمسان من قواعدهم الساحلية، مما أضعف الدولة الزيانية وأفقدها سيطرتها على السواحل[1]. في نفس الوقت كان الأسطول العثماني بقيادة "خير الدين بربروس" وأخيه "عروج بربروس" يسيطر على الجزائر (الجزائر العاصمة) عام 922هـ/1516م، وجعلها قاعدة انطلاق لفتح باقي المدن السّاحلية، وكان العثمانيون يهدفون إلى طرد الإسبان من السواحل الإفريقية وتوحيد المغرب العربي تحت راية الدولة العثمانية. وجد السلاطين الزيانيون أنفسهم عالقين بين قوتين عظميين: إسبانيا من جهة (التي كانت تدعمهم أحياناً ضد العثمانيين)، والعثمانيون من جهة أخرى (الذين كانوا يدعمونهم أحياناً ضد الإسبان)، وكانوا يغيّرون ولاءهم حسب المصالح، لكن هذه السياسة لم تنفعهم في نهاية المطاف إذ تمكّن العثمانيون بقيادة "حسن آغا" (خليفة خير الدين بربروسا) من السيطرة على تلمسان عام 962هـ/1554م، وإسقاط آخر السلاطين الزيانيين، وضم تلمسان إلى إيالة الجزائر العثمانية، وبذلك انتهت الدولة الزيانية نهائياً بعد أن دامت حوالي ثلاثة قرون ونصف القرن (633–962هـ / 1236–1554م)[2].

[1]– يحيى بن خلدون، "بغية الرواد"، الجزء الثاني، ص 50–52.

[2]– شهبي عبد العزيز، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 96.

المحاضرة: الرّابعة عشر:

الدولة المرينيّة في المغرب الأقصى

(668- 869هـ/ 1269- 1465م):

تمهيد:

كما ذكرنا سابقا أنّه بعد ضعف الموحّدين وانهيار دولتهم عقب واقعة حصن العقاب في الأندلس سنة 609هـ/ 1212م، قامت في بلاد المغرب الإسلامي ثلاث كيانات سياسية مستقلّة عن بعضها البعض، من بينها الدولة المرينية في المغرب الأقصى، وكانت هي آخر هذه الدول ظهوراً، لكنهم سرعان ما أصبحت هي الأقوى والأكثر تمدّداً من بين هذه الدّول الثّلاث، إذ تمكنوا من بسط سيطرتهم على معظم أقاليم المغرب الإسلامي في منتصف القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)[1].

تعود أصول المرينيين إلى قبيلة زناتة البربرية الكبيرة، وقد كانوا يسكنون المنطقة الجنوبية من تلمسان، وينتشرون في صحراء فقيق والأغواط، وهم فروع عدّة أبرزهم بنو عبد الحق وبنو وطّاس[2]. كان بنو مرين قبائل رحلاً تعيش على تربية الماشية والتجارة، وكانوا معروفين بالقوة والشجاعة والفروسية، ولهم تاريخ طويل من الصراع مع القبائل المجاورة، وقد أخذت الدولة اسمها من جدهم "مرين بن ورتاجن الزناتي"، وكان أوّل زعيم معروف لهم هو "عبد الحق بن محيو" (المتوفى 613هـ/1217م)، الذي يعتبر المؤسس الفعلي للدّولة المرينية[3]، على الرغم من أن الدولة لم تتبلور ككيان سياسي مستقل إلا بعد وفاته بسنوات.

1/- أصل المرينيين :

---

[1]- ابن خلدون، العبر، ج. 6، ص ص. 280- 285.

[2]- يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ص. 206.

[3]- ابن أبي زرع، "الأنيس المطرب، ص. 291.

يعود أصل بني مرين إلى منطقة "الزاب (Zab) "في شمال شرق الجزائر (قرب مدينة بسكرة)، حيث كانوا يعيشون كقبيلة رحل ترعى الإبل والغنم وتتنقل بين الواحات والمراعي. وقد كانت قبيلة بني مرين فرعاً من قبيلة "وسين (Wassin) "الزناتية الكبيرة، وكانوا يجاورون قبائل زناتية أخرى مثل بني يفرن وبني مغراوة وبني راشد، وكانت بينهم حروب وصراعات متكررة على المراعي والموارد[1]. في منتصف القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، تعرضت منطقة الزاب لغزو قبائل بني هلال العربيّة القادمة من مصر، مما اضطرّ بني مرين إلى الهجرة غرباً بحثاً عن أراض جديدة، فاتّجهوا نحو المغرب الأقصى (المغرب الحالي) واستقرّوا في منطقة بين سجلماسة وفقيق، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى جبال الرّيف شمال شرق المغرب الأقصى، حيث استقروا هناك وبدؤوا في بناء قوّتهم العسكريّة[2].

عند وصولهم إلى المغرب، خضع بنو مرين في البداية للدولة الموحدية التي كانت في أوج قوتها، وقد شاركوا في الحروب التي خاضها الموحدون في الأندلس، ومن أبرزها مشاركتهم في معركة الأرك (Alarcos) عام 591هـ/1195م إلى جانب الموحدين، حيث قاتلوا بشجاعة وأبلوا بلاء حسناً، لكن زعيمهم "محيو" أصيب بجروح بالغة في المعركة وتوفي متأثراً بها. بعد وفاة محيو بن أبي بكر بن حمامة، تولّى زعامة القبيلة ابنه "عبد الحق الأول"، الذي يعتبر المؤسس الفعلي للدولة المرينية[3]، رغم أنه لم يحكم دولة مستقلة بل كان زعيماً قبلياً قوياً بدأ في توحيد القبائل المجاورة وبناء جيش نظامي.

في بداية القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، بدأت الّدولة الموحدية تضعف وتتهاوى، خاصة بعد هزيمتها المدوّية في معركة حصن العقاب (Las Navas de Tolosa) عام 609هـ/1212م، والتي فقدت فيها معظم جيشها وسيطرتها على الأندلس. اغتنم بنو مرين هذه الفرصة لتعزيز موقفهم، فبدؤوا في مهاجمة قوّات الموحّدين في شمال المغرب، وتمكنوا من

---

[1])- ابن أبي زرع، "الأنيس المطرب"، ص ص. 232- 233؛ ابن خلدون، العبر، ج. 7، ص. 221.

[2])- ابن خلدون، العبر، ج. 7، ص. 221.

[3])- ابن خلدون، العبر، ج. 7، ص. 222؛ إبراهيم بوطالب وآخرون، تاريخ المغرب، ص ص. 185- 186.

السيطرة على مناطق واسعة بين تازة ووجدة وفاس، لكن الموحّدين تمكنوا من صدهم وإجبارهم على الانسحاب عدّة مرّات، وكانت المعارك بين الطرفين متقطعة ومتواصلة لعقود.

2/- الصّراع مع الموحّدين والاستيلاء على فاس:

بعد وفاة عبد الحق الأول عام 613هـ/1217م، تولى زعامة المرينيين ابنه عثمان بن عبد الحق، الذي واصل حرب والده ضد الموحّدين، لكنه لم يحقّق نجاحات كبيرة، وقد قُتل عام 637هـ/1240م على يد أحد عبيده النّصارى، فتولّى الحكم من بعده أخوه محمد بن عبد الحق لكنّه قُتل أيضاً بعد أربع سنوات عام 641هـ/1244م على يد أحد ضباط جيشه[1]. عند هذه النقطة، تولى زعامة المرينيين أبو يحيى أبو بكر بن عبد الحق، وهو القائد الذي يعتبره كثير من المؤرخين أول سلاطين الدولة المرينية الفعليين، لأنه تمكّن من تحقيق انتصارات حاسمة على الموحدين وبناء دولة مستقلة.

بين عامي 641-646هـ/ 1244-1248م، قاد أبو يحيى سلسلة من الحملات العسكرية النّاجحة ضد الموحدين، فتمكّن من الاستيلاء على مدن تازة ومكناس ورباط وسلا وفاس، وأعلن استقلال المرينيين عن الموحدين نهائياً، وجعل من مدينة فاس عاصمة لدولته عام 646هـ/1248م[2]. يقول ابن أبي زرع في "الأنيس المطرب": "فلما استولى أبو يحيى على فاس، جعلها دار ملكه، وبنى فيها القصور والأسوار، وجمع إليه الجيوش، وضرب السكة باسمه، وخطب له على المنابر، واستقل بدولته"[3]. وقد حاول الموحدون استعادة فاس أكثر من مرة، لكنهم فشلوا بسبب ضعف دولتهم وانشغالهم بالصّراعات الدّاخلية في مراكش.

في عام 667هـ/ 1269م، تمكن ابن أخي أبو يحيى وخليفته "أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق"، (حكم ما بين عامي 1258- 1286م) من تحقيق أعظم انتصار للمرينيين، عندما

---

[1])- ابن خلدون، "العبر"، ج. 7، ص ص. 225- 226.

[2])- ابن خلدون، العبر، ج. 7، ص ص. 226- 227.

[3])- ابن أبي زرع، "الأنيس المطرب"، ص. 293- 296.

قاد جيشه إلى مراكش عاصمة الموحدين، وتمكن من احتلالها وقتل آخر خلفاء الموحدين، وبذلك انتهت الدولة الموحدية نهائياً، وأصبح المرينيون الحكام الجدد للمغرب الأقصى. وقد اتخذ أبو يوسف يعقوب لقب أمير المسلمين، واعترف بالخلافة العباسية في القاهرة رمزياً، وأقام نظاماً إدارياً مركزياً في فاس جعلها العاصمة الرسمية لدولته[1].

3/- أبو الحسن علي وابنه أبو عنان- أوج القوة والازدهار في الدّولة المرينية:

بلغت الدولة المرينية أوج قوتها واتساعها في عهد السلطان "أبي الحسن علي بن عثمان" (731-749هـ/1331- 1348م)، الذي يعتبر من أعظم سلاطين المرينيين وأكثرهم طموحاً، حيث تمكن من توحيد المغرب العربي بأكمله تحت رايته لفترة وجيزة[2]. كان أبو الحسن علي قائداً عسكرياً عبقرياً، وإدارياً ماهراً، ودبلوماسياً ذكياً، وقد ورث دولة قوية من أبيه، فاستطاع أن يوسع حدودها بشكل كبير. ففي عام 737هـ/1337م، تمكن من غزو دولة بني عبد الواد (الزيانيين) في تلمسان، وضمها إلى دولته بعد حصار طويل، وأسر سلطانهم وقتل قادتهم[3]. ثم في عام 748هـ/1347م، تمكن من غزو الدولة الحفصية في تونس، وانتصر على جيوشهم، ودخل تونس العاصمة منتصراً، وأصبح بذلك حاكماً على المغرب العربي كله من المحيط الأطلسي غرباً إلى طرابلس شرقاً، وهي المرة الأولى التي يتوحد فيها المغرب العربي بأكمله تحت حاكم واحد منذ عهد الموحدين.

ويقول ابن خلدون في كتابه العبر واصفاً عهد أبي الحسن: "وجمع كلمة بني واسين من بني مرين وبني عبد الواد وتوجين وسائر زناتة وأنزلهم ببلاد المغرب، وسدّ بكلّ طائفة منهم ثغرا من أعماله، وساروا عصبا تحت لوائه، فأنزل منهم بقاصية السّوس وبلاد غمارة، وأجاز منهم إلى ثغور عمله بالأندلس حامية ومرابطين، واندرجوا في جملته، واتّسع نطاق ملكه،

---

[1]- ابن خلدون، "العبر"، ج. 7، ص. 234، 237- 238، 241- 242.

[2]- إبراهيم بوطالب وآخرون، تاريخ المغرب، ص. 199.

[3]- ابن خلدون، "العبر"، ج. 7، ص. 339- 342.

وأصبح ملك زناتة بعد أن كان ملك بني مرين، وسلطان العدوتين بعد أن كان سلطان المغرب"[1]. وقد امتلك أبو الحسن جيشاً ضخماً منظمًا، يتكون من 40,000 فارس من زناتة، بالإضافة إلى المشاة والرماة، وكان حرسه الشخصي يتألف من 7,000 جندي، بينهم مسيحيون (مرتزقة من أوروبا) وأكراد وسودان.

بعد وفاة أبي الحسن عام 749هـ/1348م (أو 1351م حسب بعض المصادر)، تولى الحكم ابنه "أبو عنان فارس" (749- 759هـ/ 1348- 1358م)، الذي واصل سياسة والده في التوسع، فتمكن من استعادة تلمسان وتونس بعد أن ثارتا على أبيه، لكن حكمه لم يدم طويلاً بسبب الصراعات الداخلية وتمردات القبائل[2]. وفي عام 759هـ/1358م، قُتل أبو عنان فارس خنقاً بأمر من وزيره، وكانت هذه بداية مرحلة الانحدار والضعف للدولة المرينية، حيث سادت الفوضى وتنازع الوزراء والأمراء على السلطة، وتوالى على الحكم عشرات السلاطين في فترة قصيرة، وضعفت هيبة الدولة وتفككت وحدتها[3].

4/- المرينيون في الأندلس وجهادهم ضدّ الممالك النّصرانية هناك:

كان للمرينيين دور كبير في الأندلس، حيث قاموا بدعم إمارة غرناطة النّصرية في حروبها ضد الممالك المسيحية الشمالية (قشتالة وأراغون والبرتغال)، وأرسلوا جيوشهم عدة مرات لنجدة إخوانهم المسلمين في الأندلس، خوفاً من سقوط الأندلس في أيدي النصارى وتقدمهم نحو المغرب[4]. في عام 673هـ/1275م، أرسل السلطان أبو يوسف يعقوب أول حملة مرينية إلى الأندلس، وتمكن من تحقيق انتصارات على جيوش قشتالة، وأعاد فرض السيطرة الإسلامية

---

[1])- ابن خلدون، "العبر"، ج. 7، ص. 342.

[2])- **محمّد عيسى الحريري**، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ/ 1213م)- (869هـ/ 1465م)، دار القلم للنّشر والتّوزيع- الكويت، ط. 2، 1987م، ص. 125- 131.

[3])- ابن خلدون، "العبر"، ج. 7، ص. 396؛ محمّد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس، ص ص. 130- 131.

[4])- ابن خلدون، "العبر"، ج 6، ص 292-293.

على بعض المناطق التي كانت قد سقطت في أيدي النصارى. وفي السنوات التالية، تكررت الحملات المرينية إلى الأندلس، وتمكن المرينيون من السيطرة على مدن استراتيجية مثل الجزيرة الخضراء (Algeciras) وطريفة (Tarifa) وروطة (Rota) وجبل طارق (Gibraltar).

لكن هذه النجاحات لم تدم طويلاً، ففي عام 741هـ/1340م، واجه المرينيون بقيادة السلطان أبي الحسن علي (قبل أن يصبح سلطاناً على المغرب) أكبر هزيمة لهم في الأندلس، عندما التقوا بالجيوش المسيحية المتحدة (قشتالة وأراغون والبرتغال) في معركة "وادي سالادو" (Río Salado) بالقرب من طريفة، وكانت المعركة شرسة ودموية، واستمرت لعدة أيام، وانتهت بهزيمة ساحقة للمرينيين، وقُتل منهم عشرات الآلاف، وفرَّ من تبقى منهم إلى المغرب.

بعد هذه الهزيمة، لم يعد للمرينيين قدرة على التدخل في الأندلس بشكل فعال، وتوالت هزائم المسلمين هناك، حتى سقطت الجزيرة الخضراء آخر معاقل المرينيين في الأندلس عام 745هـ/1344م، وطردوا نهائياً من شبه الجزيرة الإيبيرية. كانت هذه الهزيمة إيذاناً بنهاية الوجود الإسلامي المنتظم في الأندلس، ولم يبق للمسلمين سوى إمارة غرناطة الصغيرة التي استمرت حتى عام 897هـ/1492م[1].

5/- ضعف وانهيار الدولة المرينية:

بعد مقتل السلطان أبي عنان فارس عام 759هـ/1358م، دخلت الدولة المرينية في مرحلة طويلة من الفوضى والانحدار، حيث تنازع أفراد الأسرة الحاكمة والوزراء والأمراء على السلطة، وتوالى على حكم الدولة حوالي عشرين سلطاناً في فترة لا تتجاوز المائة عام، وكان معظمهم دمى في أيدي الوزراء والقادة العسكريين الذين كانوا يتنازعون فيما بينهم على النفوذ والثروة[2]. وكان من أبرز هؤلاء الوزراء الأقوياء "الوطاسيون"، وهم فخذ من قبيلة بني مرين

[1]- إبراهيم بوطالب وآخرون، تاريخ المغرب، ص. 200- 202؛ محمّد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس، ص. 237- 240.

[2]- إبراهيم بوطالب وآخرون، تاريخ المغرب، ص.222- 225.

(أي أنهم من نفس الأصل)، كانوا يشغلون منصب الوزراء والحاجب وقادة الجيش، واستولوا على السلطة الفعلية في الدولة، بينما بقي السلاطين المرينيون صوراً رمزية لا سلطة لهم[1].

في عام 823هـ/1420م، تولّى حكم الدولة المرينية طفل رضيع هو "عبد الحق الثاني"، وكان عمره سنة واحدة فقط، وتولى الوزير الوطاسي "أبو زكرياء يحيى الوطاسي" الوصاية عليه والحكم باسمه. لكن الوطاسيين رفضوا التّخلي عن السلطة عندما كبر عبد الحق، فقام عام 863هـ/1459م بمجزرة بحق عائلة الوطاسيين، وقتل معظمهم، واسترد سلطته بشكل مؤقت. لكن حكمه لم يدم طويلاً، ففي عام 869هـ/ 1465م، ثار أهل فاس على السلطان عبد الحق الثاني بسبب ظلمه واستبداده وفرضه للضرائب الباهظة، فاقتحموا قصره وقتلوه، وكانت هذه نهاية الدولة المرينية[2].

وبعد مقتل عبد الحق الثاني، استولى الوطاسيون على الحكم بشكل رسمي، وأسسوا "الدولة الوطاسية" التي حكمت المغرب من 875-961هـ/1471-1554م، قبل أن يقضي عليهم السعديون.

6/- إرث المرينيين في تاريخ المغرب الإسلامي:

رغم أن الدولة المرينية انتهت بالضعف والتفكك، فإن إرثها في المغرب والغرب الإسلامي ظل حاضراً لقرون طويلة بعد زوالها، وما زالت آثاره ملموسة حتى يومنا هذا في المغرب الأقصى خاصة في فاس ومكناس ومراكش ورباط وسلا، ومن أبرز إنجازات وإرث المرينيين نذكر ما يلي:

---

[1])- شهبي عبد العزيز، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 102.

[2])- **بودوخة إبراهيم**، الأحوال العامّة للمغرب الأقصى في مرحلة الحكم الوطّاسي (875- 961هـ/ 1471- 1554م)، (مجلّة المعارف للبحوث والدّراسات التّاريخية- جامعة حمّة لخضر- وادي سوف (الجزائر)، المجلّد الثّامن، العدد الثّاني، فيفري 2023م)، ص. 369- 372.

– **توحيد المغرب،** فقد تمكن المرينيون من القضاء على الدولة الموحدية وتوحيد المغرب الأقصى تحت راية واحدة، ومدّوا نفوذهم إلى أجزاء واسعة من الجزائر وتونس.

– **فاس عاصمة للحضارة،** فقد جعلوا من مدينة فاس عاصمة علمية وثقافية كبرى، وبنوا فيها المدارس والمساجد والمكتبات التي جذبت العلماء والطلاب من كل أنحاء العالم الإسلامي، وأصبحت فاس في عهدهم من أهم مراكز الإشعاع الفكري في الغرب الإسلامي.

– **المدارس المرينية،** فقد كانوا أول من أدخل نظام المدارس (المدارس الفقهية) إلى المغرب، وأوقفوا عليها الأوقاف الكثيرة، وخرّجت هذه المدارس آلاف الفقهاء والقضاة والعلماء الذين نشروا المذهب المالكي في كل أنحاء المغرب.

– **العمارة والتحف الفنية،** فقد ترك المرينيون إرثاً معمارياً ضخماً لا تزال آثاره قائمة في فاس ومكناس ورباط وسلا وتازة، من مساجد ومدارس وأسوار وقصور وزوايا، وتعتبر هذه الآثار من أهم معالم الحضارة الإسلامية في المغرب.

– **الجهاد في الأندلس،** فقد كان المرينيون من آخر الدول الإسلامية التي قاتلت في الأندلس دفاعاً عن إخوانهم المسلمين، وخاضوا معارك ضارية ضد الممالك النّصرانية، واستشهد منهم الآلاف في سبيل الدفاع عن الإسلام والمسلمين.

الخاتمـــــــــــــة

من خلال دراستنا لهذا الموضوع (التاريخ السّياسي لبلاد المغرب الإسلامي) يمكن أن نسجّل جملة من الملاحظات أهمّها:

– أنّ الفاتحين المسلمين جاؤوا لغاية نبيلة وهي نشر الإسلام وإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى بين ساكنة بلاد المغرب وليس كما يروّج له بعض المستشرقين بأنّ غاية المسلمين من الفتح هي الغنائم وجمع المال.

– أنّ البربر رغم مقاومتهم للفاتحين في بادئ الأمر لجهلهم لتعاليم الإسلام وخوفهم من الوقوع في احتلال جديد، إلاّ أنّهم أسلموا وحسن إسلامهم وأصبحوا من أكبر الدّعاة له والمدافعين عنه والحاملين لرايته، حيث ساهموا في عمليات الفتح فيما بعد (فتح الأندلس خير دليل).

– أنّ عصر الولاّة رغم أهمّيته إلاّ أنّه تميّز بالاضطراب والصّراع المذهبي والعرقي نتيجة لسياسة بعض الولاّة الّذين تميّزوا بالقسوة والجور واضطهاد الرّعية.

أن انتشار الحركة المذهبيّة في بلاد المغرب (فكر الخوارج والشّيعة) كان له الأثر البالغ في إحداث التّغيير السّياسي في بلاد المغرب، كقيام الثّورات ضدّ الولاّة الأمويين ثمّ العبّاسيين، ثمّ انفصال المغرب عن المشرق وقيام الدّول المستقلّة فيه.

الملاحـــــــق

الملحق رقم: 01. [1]

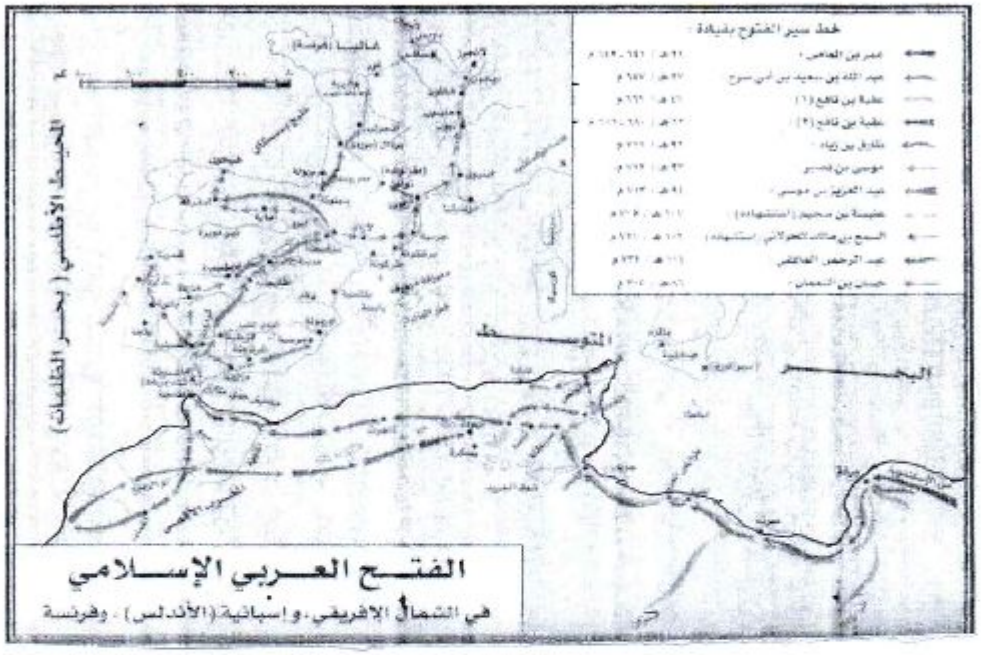

[1])- شهبي عبد العزيز، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 25.

الملحق رقم: 02.[1]

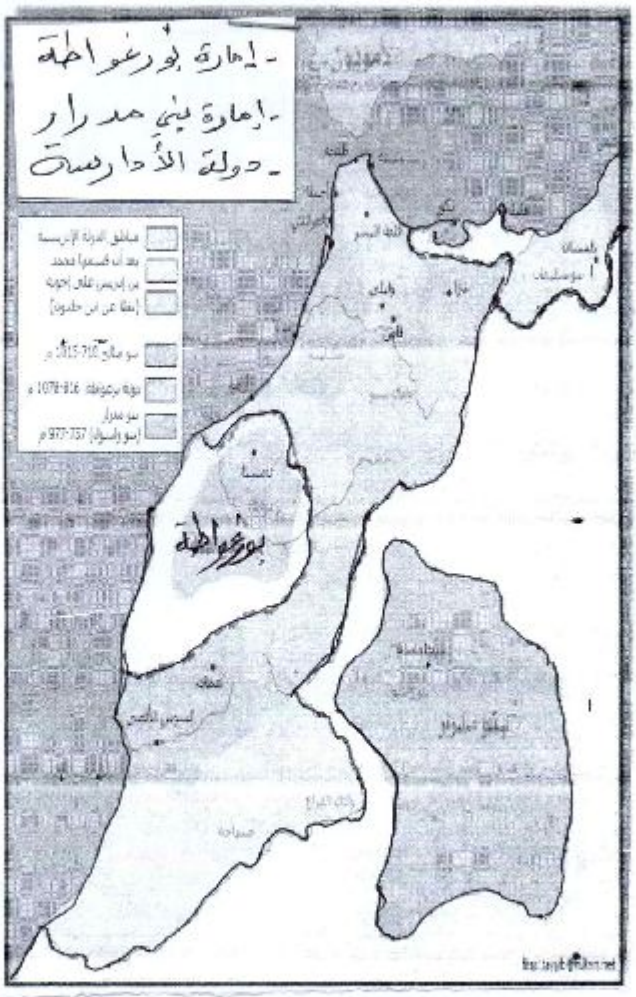

[1])- شهبي عبد العزيز، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 41.

الملحق رقم: 03. [1]

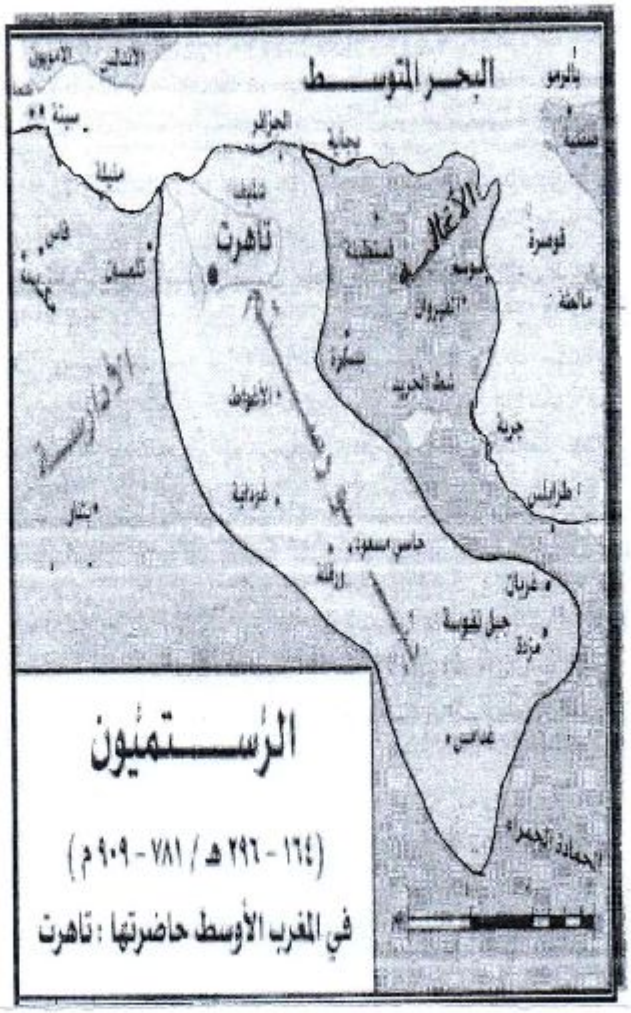

[1])- شهبي عبد العزيز، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 37.

الملحق رقم: 04. [1]

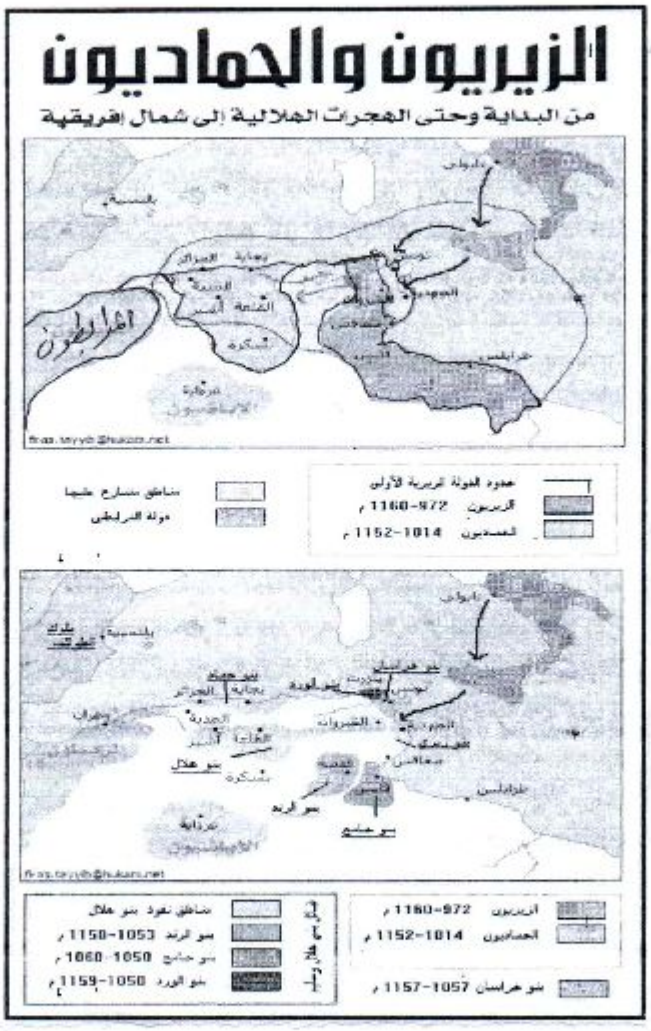

[1])- شهبي عبد العزيز، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 59.

الملحق رقم: 05. [1]

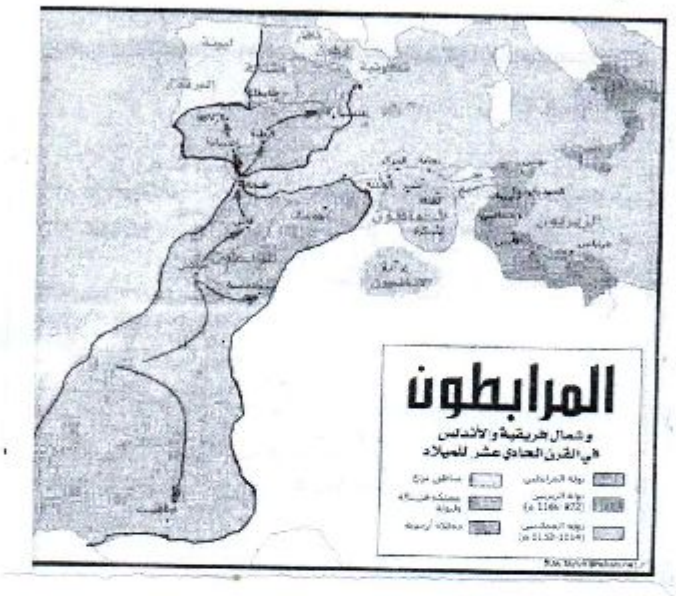

[1])- شهبي عبد العزيز، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 70.

الملحق رقم: 06. [1]

[1])- شهبي عبد العزيز، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 87.

الملحق رقم: 07. [1]

[1])- شهبي عبد العزيز، تاريخ المغرب الإسلامي، ص. 99.

قائمــة المصــادر والمراجــع

1/- قائمة المصادر:

أ/- القرآن الكريم:

- سورة القصص، الآية: 15.

ب/- المصادر:

- ابن الأبّار: **أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي:**

الحلّة السّيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف- القاهرة، ط. 2، 1985م، ج. 2.

- **ابن الأثير: عزّ الدّين أبو الحسن علي بن محمّد بن محمّد بن عبد الكريم الجزري الشّيباني:**

الكامل في التّاريخ، تحقيق: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدّوليّة- عمان (الأردن)، دون تاريخ.

- **الإصطخري: أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد الفارسي:**

مسالك الممالك، دون تحقيق، طبع في مدينة ليدن المحروسة (مطبعة بريل)، 1927م.

- **أبو بكر عبد الله بن محمّد المالكي:**

ريّاض النّفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقيّة وزهّادهم ونسّاكهم وسيّر من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: بشير بكّوش، مراجعة: محمّد العروسي المطوي، ط. 1، دار الغرب الإسلامي- بيروت (لبنان)، 1983م، ج. 1.

- **البلاذري: أبو العبّاس أحمد بن يحي بن جابر:**

- أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكّار، رياض زركلي، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع- بيروت، ط. 1، 1996م، ج. 7.

- فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطّباع، عمر أنيس الطّباع، مؤسّسة المعاف للطّباعة والنّشر- بيروت، 1987م.

- **البغدادي: أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمّد:**

الفرق بين الفِرَقْ وبيان الفرقة النّاجية منهم عقائد الفرق الإسلاميّة وآراء كبار أعلامها، دراسة وتحقيق: محمّد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا للنّشر والتّوزيع والتّصدير- القاهرة، دون تاريخ.

- **ابن بلقين عبد الله:**

مذكّرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة المسماة بكتاب التّبيان، تحقيق: ليفي بروفنسال، تقديم سليمان العطّار، ط. 2، دار المعارف- مصر، 2008م.

- **البيذق: أبوبكر بن علي الصّنهاجي:**

أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطّباعة والورّاقة- الرّباط، 1971م.

- **ابن تغري بردي الأتابكي: جمال الدّين أبي المحاسن يوسف:**

النّجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دون محقق، مطبعة دار الكتب المصريّة- القاهرة، ط. 1، 1929م،

- **ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرّحمن بن عبد الله:**

فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، الهيئة العامّة لقصور الثّقافة- القاهرة، دون تاريخ، ج. 1.

- الحميري: محمد بن عبد المنعم:

الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت (لبنان)، الطبعة الأولى، 1984م.

- ابن خلدون عبد الرّحمن:

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشّأن الأعظم، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكّار، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع- بيروت، 2000م، ج. 6.

- مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد السلام الشّدادي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولى، 2005م.

- ابن خلّكان: أبو العبّاس شمس الدّين أحمد بن محمّد:

وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عبّاس، دار صادر- بيروت (لبنان)، دون تاريخ، مج. 5.

- الدّبّاغ: أبو زيد عبد الرّحمن بن محمّد الأنصاري الأسيدي:

معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح: إبراهيم شبوح، ط. 2، مكتبة الخانجي بمصر، 1968م، ج. 1.

- الدّرجيني: أبو العبّاس أحمد بن سعيد:

طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق: طلاي إبراهيم، مطبعة البعث قسنطينة- الجزائر، دون تاريخ، ج. 1.

- ابن أبي دينار: محمّد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني:

المؤنس في أخبار إفريقيّة وتونس، دون محقق، دار المسيرة- بيروت (لبنان)، ط. 3، 1993م.

- الرّقيق القيرواني: إبراهيم بن القاسم:

تاريخ إفريقية والمغرب، تعليق وتحقيق: محمّد زينهم محمّد عزب، دار الفرجاني للنّشر والتّوزيع (ليبيا)، 1994م.

- ابن أبي زرع الفاسي: علي بن عبد الله:

الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق: محمد المهدي الحاحي، مطبعة دار المنصور، الرباط، ط. 1، 1972.

- الزّركشي: أبو عبد اللّه محمّد بن إبراهيم:

تاريخ الدّولتين الموحّدية والحفصيّة، تحقيق وتعليق: محمّد ماضور، المكتبة العتيقة - تونس، ط. 2، 1966م.

- سليمان بن الشيخ عبد الله الباروني النّفوسي:

الأزهار الرّياضية في أئمّة وملوك الأباضيّة، دون دار نشر، دون تاريخ نشر، القسم الثّاني.

- الشّريف الإدريسي:

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، دون تحقيق، مكتبة الثّقافة الدّينيّة– القاهرة، 2002م، مج. 1.

– الشّماخي: أحمد بن سعيد بن عبد الواحد:

كتاب السّير، تحقيق: أحمد بن سعود الشّيابي، وزارة التّراث القومي والثّقافة– سلطنة عمان، ط. 2، 1992م، ج. 1، ص. 113– 118.

– ابن الصّغير:

أخبار الأئمّة الرّستميين، تحقيق: محمّد ناصر، إبراهيم بحّاز بكير، دار الغرب الإسلامي– بيروت، دون تاريخ.

– أبو عبيد البكري:

المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فان ليوفن، أندري فيري، الدّار العربيّة للكتاب– تونس، 1992م، ج. 2.

– ابن عذاري المرّاكشي:

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان، ليفي بروفنسال، دار الثّقافة –بيروت، ط. 3، 1983م، ج. 1.

– أبو الفداء: عماد الدّين إسماعيل بن محمّد بن عمر:

تقويم البلدان، تحقيق: رينود، ماك كوكين ديسلان، دار الطّباعة السّلطانيّة– باريس، 1830م.

– ابن قتيبة الدينوري: أبو محمّد عبد الله بن مسلم:

الإمامة والسّياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء للطّباعة والنّشر والتّوزيع– بيروت (لبنان)، 1990م، ج. 2.

– ابن القاضي: أحمد بن محمد بن أبي العافية:

جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، دون تحقيق، دار المنصورة للطّباعة والورّاقة– الرّباط، 1973م.

– القاضي عياض بن موسى اليحصبي:

ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، الجزء الرابع، مكتبة الحياة، بيروت، الطبعة الأولى، 1967م.

– القاضي النّعمان:

كتاب افتتاح الدّعوة، تحقيق: فرحات الدّشراوي، الشّركة التّونسيّة للتّوزيع– تونس، ديوان المطبوعات الجامعية– الجزائر، ط. 2، 1986م.

– ابن القوطيّة: أبوبكر محمّد بن عمر بن عبد العزيز:

تاريخ إفتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري– القاهرة، ط. 2، 1989م.

– ابن الكردبوس: أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التّوزري:

تاريخ الأندلس، تحقيق: أحمد مختار العبّادي، معهد الدّراسات الإسلاميّة بمدريد، 1971م.

- **لسان الدّين ابن الخطيب:**

أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام (تاريخ إسبانية الإسلامية)، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف- بيروت (لبنان)، ط. 2، 1956م.

- **محمّد بن تومرت مهدي الموحّدين:**

أعزّ ما يطلب، تقديم وتحقيق: طالبي عمّار، صدر عن وزارة الثّقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثّقافة العربية، 2007م.

- **مؤلّف مجهول:**

أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري- القاهرة، ط. 2، 1989م.

- **مؤلّف مجهول:**

الحلل الموشيّة في ذكر الأخبار المرّاكشيّة، تحقيق: سهيل زكّار، عبد القادر زمامة، الطّبعة الأولى، دار الرّشاد الحديثة- الدّار البيضاء، 1979م،

- **النّاصري: أبو العبّاس أحمد بن خالد:**

الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر النّاصري، محمّد النّاصري، دار الكتاب- الدّار البيضاء (المغرب الأقصى)، 1997م، ج. 1.

- **النّويري: شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهّاب:**

نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلميّة- بيروت (لبنان)، دون تاريخ، ج. 24.

- **عبد الواحد المراكشي بن علي التميمي:**

المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: صلاح الدّين الهواري، المكتبة العصرية صيدا- بيروت، الطبعة الأولى، 2006م.

- **ابن وردان:**

تاريخ مملكة الأغالبة، تحقيق: محمّد زينهم محمّد عزب، مكتبة مدبولي- القاهرة، ط. 1، 1988م.

- **يحيى بن خلدون: أبو زكرياء يحيى بن محمد:**

بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزء الثاني، مطبعة بونطانة، الجزائر، الطبعة الأولى، 1910م.

- اليعقوبي: **أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب:**

تاريخ اليعقوبي، دون محقق، مطبعة الغرى – النّجف، دون تاريخ، ج. 3.

2/- قائمة المراجع:

- **ابتسام مرعى خلف الله:**

العلاقات بين الخلافة الموحّدية والمشرق الإسلامي، دار المعارف- ، 1985م.

- **إبراهيم أحمد العدوي:**

موسى بن نصير، دار الكتاب العربي للطّباعة والنّشر، 1967م.

- **إبراهيم بوطالب وآخرون:**

تاريخ المغرب، تعريب: محمّد الغرايب وآخرون، مطابع الرّباط نت- الرّباط (المغرب الأقصى)، ط. 1، 2018م.

- **أحمد إبراهيم الشّعراوي:**

دور العرب في بلاد المغرب والأندلس، ط. 1، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب- القاهرة، 2015م.

- **أحمد بن سعد حمدان الغامدي،** التّشيع، نشأته ومراحل تكوينه، دون دار نشر، مكّة المكرّمة، ط. 1، 2010.

- **أحمد مختار العبّادي:**

في تاريخ المغرب والأندلس، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر- بيروت (لبنان)، دون تاريخ.

- **أشباخ يوسف:**

تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحّدين، ترجمة وتعليق: محمّد عبد اللّه عنّان، المركز القومي للتّرجمة- القاهرة، 2011م، ج. 1.

- **الأمير عبد القادر الجزائري:**

تحفة الزائر في تاريخ الجزائر وتونس والمغرب الأقصى، تحقيق مبارك بن محمد الميلي، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ط. 1، 1903م.

- **أيمن السّيد عبد اللّطيف:**

الحياة الثّقافية في المغرب الأدنى في عهد الدّولة الزّيرية (361- 543هـ/ 973- 1148م)، دون دار نشر، دون تاريخ نشر.

- **بحّاز إبراهيم بكير:**

الدّولة الرّستميّة دراسة في الأوضاع الاقتصاديّة والحياة الفكريّة (160- 296هـ/ 777- 909م)، نشر جمعيّة التّراث- القرارة (الجزائر)، ط. 2، 1993م.

- **البكّوش عيسى:**

نفحات من تاريخ تونس من سالف الأزمان إلى عهد الأمان، منشورات نيرفانا- تونس، ط. 1، 2022م.

- **بوركبة محمّد:**

الجزائر الاجتماعية في عهد الدّولة الرّستمية (160- 296هـ/ 777- 999م)، دار الكفاية- الجزائر، دون تاريخ.

- **حامد محمّد خليفة:**

انتصارات يوسف بن تاشفين (400- 500هـ/ 1009- 1106م)، مكتبة التّابعين عين شمس- القاهرة، ط. 1، 2004م.

- **حسين مؤنس:**

فتح العرب للمغرب، مكتبة الثّقافة الدّينيّة- القاهرة (مصر)، دون تاريخ.

- **حسين بن محمّد بن وادران:**

تاريخ العبّاسيين، تحقيق: المنجي الكعبي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط. 1، 1993م.

- **حسين مؤنس:**

فتح العرب للمغرب، مكتبة الآداب بالجماميز- مصر، دون تاريخ.

معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرّشاد- القاهرة، 1997م، 65.

- **خليل إبراهيم السّامرائي:**

علاقات المرابطين بالممالك الإسبانيّة بالأندلس وبالدّول الإسلاميّة، منشورات وزارة الثّقافة والإعلام- الجمهورية العراقيّة، 1985م.

- **سامي سعيد الأحمدي:**

تاريخ الرّومان، ط. 1، دار الفكر الحديث- لبنان، 1967م.

- **سعد زغلول:**

تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الإستقلال (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب)، منشأة المعارف- الإسكندريّة، 1993م، ج. 1.

- **سنوسي يوسف إبراهيم:**

زناتة والخلافة الفاطمية، مكتبة سعيد رأفت جامعة عين شمس- القاهرة، ط. 1، 1986م.

- **السّيد عبد العزيز سالم:**

تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس(من الفتح العربي حتّى سقوط الخلافة بقرطبة)، مؤسّسة شباب الجامعة- الإسكندريّة، 1997م.

- **شكري فيصل:**

حركة الفتح الإسلامي في القرن الأوّل -دراسة تمهيديّة لنشأة المجتمعات الإسلاميّة-، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، 1953م.

- **شهبي عبد العزيز:**

تاريخ المغرب الإسلامي، مؤسّسة كنوز الحكمة للنّشر والتّوزيع– الجزائر العاصمة، 2013م.

– **الصّعيدي الشيماء:**

المغرب بين التّاريخ والميثولوجيا، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب– القاهرة، 2019م.

– **عبد الحميد حسين حمّودة:**

تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي وحتّى قيام الدّولة الفاطميّة، الدّار الثّقافيّة للنّشر– القاهرة، 2006م.

– **عبد المحسن طه رمضان:**

تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتّى سقوط غرناطة، الطبعة الثّانيّة، دار الفكر موزّعون وناشرون– عمّان (الأردن)، 2013م.

– **عويس عبد الحليم:**

دولة بني حمّاد صفحة رائعة من التّاريخ الجزائري، دار الصّحوة للنّشر والتّوزيع– القاهرة، ط. 2، 1991م.

– **محمّد عبد الله عنان:**

دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي– القاهرة، ط. 4، 1997م، العصر الأول، القسم الثّاني (الخلافة الأمويّة والدّولة العامريّة).

– **محمّد علي اسلم ولد الطّالب أعبيدي:**

الصّراع الفكري والسّياسي في الدّولة الإسلامية قبل القرن 5هـ، النّشر الجامعي الجديد– الكيفان تلمسان– الجزائر، 2018م.

– **محمّد فيّاض:**

فرق الشّيعة بين النّشأة والتّطوّر والعمل السّياسي، دار العالم العربي– مدينة نصر، القاهرة، ط. 1، 2017م،

– **محمّد محمود النّشار:**

دراسات في تاريخ الحروب الصّليبية في الأندلس، ط. 1، عين للدّراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، مصر العربية، 2003م.

– **عبد الواحد ذنون طه:**

الفتح والاستقرار العربي في شمال إفريقيا والأندلس، ط.1، دار المدار الإسلامي– بيروت (لبنان)، 2004م.

– **فيلالي عبد العزيز:**

تلمسان في العهد الزّياني، موفم للنّشر والتّوزيع– الجزائر، 2002م، ج. 1.

– **محمّد عيسى الحريري:**

تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ/ 1213م)– (869هـ/ 1465م)، دار القلم للنّشر والتّوزيع– الكويت، ط. 2، 1987م،

– **فاطمة عبد القادر رضوان:**

المغرب في عصر الولاّة الأمويين، (رسالة ماجستير منشورة)، جامعة أمّ القرى – المملكة العربيّة السّعوديّة، 1984م.

– لقبال موسى:

– تاريخ المغرب الإسلامي، دار هومه للطّباعة والنّشر والتّوزيع– الجزائر، الطبعة الرابعة، 2001م.

– دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م)، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع– الجزائر، 1979م،

– محمود إسماعيل عبد الرّزاق:

الخوارج في بلاد المغرب حتّى منتصف القرن الرّابع الهجري، دار الثّقافة– الدّار البيضاء (المغرب الأقصى)، ط. 2، 1985م.

– محمود سعيد عمران:

– معالم تاريخ الإمبراطوريّة البيزنطيّة، دار المعرفة الجامعيّة– مصر، 2000م.

– مملكة الوندال في شمال إفريقيا، دار المعارف– القاهرة، 1985م.

– مرمول محمّد الصّالح:

السّياسة الدّاخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية– الجزائر، 1983م.

– مزردي فاتح:

الدّولة المرابطيّة "إرهاصات التّأسيس، والعلاقات السّياسيّة مع المشرق والغرب الإسلامي" (448– 541هـ/ 1056– 1147م)، دار أجيال الرّقمي– الجزائر العاصمة، دون تاريخ.

– مطهري فطيمة:

حاضرة القيروان: دراسة تاريخيّة وحضاريّة من الفتح الإسلامي والتّأسيس حتّى سيطرة الفاطميّين من القرن(1– 3هـ/ 7– 9م)، النّشر الجامعي الجديد– تلمسان (الجزائر)، 2018م.

– عبد المعين الشّواف:

الخوارج من النّهروان إلى خراسان، دار الشّواف للنّشر والتّوزيع– العربيّة السّعوديّة، دون تاريخ، ص. 46.

– الهادي روجي إدريس:

الدّولة الصّنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، ترجمة: حمّادي السّاحلي، دار الغرب الإسلامي– بيروت، ط. 1، 1992م، ج. 1.

– هشام جعيط:

تأسيس الغرب الإسلامي، دار الطّليعة للطباعة والنّشر– بيروت، 2004م.

– هيو كينيدي:

الفتوح الإسلاميّة (كيف غيّر انتشار الإسلام العالم الّذي نعيش فيه)، ترجمة وتقديم وتعليق: قاسم عبده قاسم، عين للدّراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة– القاهرة (مصر)، ط. 1، 2013م.

– نصحي إبراهيم:

تاريخ الرّومان، مكتبة الأنجلو المصريّة – القاهرة، دون تاريخ، ج. 1.

– بن يحي أحمد:

الخوارج طليعة التّفكير في الإسلام رسالة الرّد على مسائل الأباضيّة، تحقيق: إمام حنفي سيّد عبد الله، دار الآفاق العربيّة– القاهرة، ط. 2، 2023م.

– يحي بوعزيز:

الموجز في تاريخ الجزائر (الجزائر القديمة والوسيطية)، ديوان المطبوعات الجامعية– بن عكنون (الجزائر)، 2007م، ج. 1.

– يوليوس فلهاوزن:

أحزاب المعارضة السّياسيّة والدّينيّةفي صدر الإسلام (الخوارج والشّيعة)، ترجمة: عبد الرّحمن بدوي، مكتبة النّهضة المصريّة– القاهرة، 1958م.

3/– الأطاريح والمذكّرات:

– رحماني موسى:

الأوراس في العصر الوسيط من الفتح الإسلامي إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر (27– 362هـ/ 647– 972م)، (مذكّرة ماجستير منشورة)، جامعة منتوري– قسنطينة (الجزائر)، 2006– 2007م.

– شنايت العيفة:

دولة بني مدرار بسجلماسة ودور تجارة القوافل في ازدهارها الحضاري بين القرنين الثّاني والرّابع الهجريين، (مذكّرة ماجستير منشورة)، معهد التّاريخ جامعة الجزائر (الجزائر)، 1990– 1991م.

– لمى عبد اللّطيف عبد الله:

أثر التّجارة على العلاقات السّياسيّة بين دول المغرب الكبير في القرنين (2– 3هـ/ 8– 9م)، (مذكّرة ماجستير منشورة)، قسم التّاريخ– جامعة تشري (الجمهوريّة العربيّة السّوريّة)، 2016– 2017م.

– وفاء يعقوب جبريل برناوي:

دولة بني مدرار الصّفريّة بالمغرب الأقصى الإسلامي دراسة تاريخية حضاريّة (140– 347هـ/ 757– 958م)، مذكّرة ماجستير منشورة، كلّيّة الشّريعة والدّراسات الإسلاميّة (جامعة أمّ القرى– المملكة العربيّة السّعوديّة)، 2003م.

4/- المقالات:

- بودوخة إبراهيم:

الأحوال العامّة للمغرب الأقصى في مرحلة الحكم الوطّاسي (875- 961هـ/ 1471- 1554م)، (مجلّة المعارف للبحوث والدّراسات التّاريخية- جامعة حمّة لخضر- وادي سوف (الجزائر)، المجلّد الثّامن، العدد الثّاني، فيفري 2023م).

- حرّوز عبد الغني:

الخوارج نشأتهم وانتقالهم إلى بلاد المغرب الإسلامي، (المجلّة التّاريخية الجزائريّة- جامعة المسيلة (الجزائر)، العدد 6- 7، جانفي- ماي 2018م).

- سادسة حلاوي محمود، أحمد محمّد جودي:

الدّولة الفاطميّة وثورة أبو يزيد الخارجي في المغرب الإسلامي (323- 336هـ/ 934- 947م)، (مجلّة لارك للفلسفة واللّسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد 24، العراق، 2017م).

- عبود أوريدة:

الدّولة الحمّادية وبنيتها الثّقافية، (مجلّة علوم الإنسان والمجتمع، العدد: 24، ديسمبر 2017م).

- قاسمي بختاوي:

الهجرة الهلاليّة إلى الصّحراء الإفريقيّة(الأسباب والانعكاسات)، (مجلّة السّاورة للدّراسات الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة طاهري محمّد- بشّار (الجزائر)، العدد: 01، ديسمبر 2015م).

- يوسف أحمد بني ياسين:

نهاية الخلافة الأمويّة في الأندلس: قراءة في المجريات والأسباب (414- 422هـ/ 1023- 1031م)، (مجلّة دراسات للعلوم الإنسانيّة والاجتماعية- الجامعة الأردنيّة، عمّان، مج. 38، ع. 01، 2011م).

فهــرس الموضــوعــات

- مقدمة 05
1- الأوضاع العامّة لبلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي..... 08
2- الفتح الإسلامي لبلاد المغرب 14
3- عصر الولاّة في بلاد المغرب 31
4- انتشار الفكر الخارجي (الإباضيّة والصّفريّة) بين المغاربة وقيام الثّورات في بلاد المغرب 38
5- الإمارات الصّفريّة في بلاد المغرب (إمارتا بورغواطة وبني مدرار) 47
6- الدّولة الرّستميّة في المغرب الأوسط 57
7- دولتا الأدارسة والأغالبة في المغربين الأقصى والأدنى 61
8- انتشار الفكر الشّيعي بين المغاربة وقيام الخلافة الفاطميّة 66
9- الدّولتان الزّيريّة والحمّاديّة في المغربين الأدنى والأوسط 75
10- الدّولة المرابطيّة في بلاد المغرب 80
11- الدّولة الموحّديّة في بلاد المغرب 87
12- الدّولة الحفصيّة في المغرب الأدنى 96
13- الدّولة الزّيانيّة في المغرب الأوسط 108
14- الدّولة المرينيّة في المغرب الأقصى..... 114
- الخاتمة..... 122
- الملاحق 124
- قائمة المصادر والمراجع 132
- فهرس الموضوعات 143